روايات مصرية للجيب

8

فارس الأندلس

رأس السهم

فريق متميزون
E-BOOK

د. نبيل فاروق

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (فارس الأندلس)

Link – لينك القنـــاة

Link - لينك الجروب

(كلمه مهمة) :

هذا العمل (تحويل سلسلة فارس الأندلس للدكتور نبيل فاروق الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها، كما ننوه بأن د. نبيل فاروق كتب، عبر حسابه على موقع التدوينات القصيرة «تويتر»:

"أعلن أنا د. نبيل فاروق عن تنازلي التام ودون أي مقابل مادي عن الحقوق الأدبية والمادية عن تحويل جميع مؤلفاتي وكتاباتي المطروحة والمستقبلية للطباعة بطريقة برايل للمكفوفين لأي جهة يمكنها تقديمها لهم دون استهداف الربح المادي."

مع تحيات:

فريق (متميزون)

Group Link – لينك الإنضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــاة

سلسلة فارس الأندلس

العدد رقم (08)

رأس الســـــهم

تأليف: د. نبيـــــل فاروق.

من بين أوراق التـــــــــــــاريخ جاء..
من قلب الحضـــارة والأمل ظـهر..
من أجـــل العـــــــدالة والحـــــــــق كـــان..
رمز الماضي والحاضر والمستقبل..
الفـــــــــــــــــــــــــــــارس..
فارس الأندلس..

د. نبيل فاروق

..1- اغتيـــــــال

اختفت الشمس أو كادت، خلف الجبال البعيدة، على مدينة (قيجاطة) الأندلسية، إحدى مدن مملكة (غرناطة)، آخر ما تبقى للعرب في (الأندلس)، في تلك الفترة من الزمن، وبدأ الشفق يتلون تدريجيا بألوان الغروب الرائعة، في نفس الوقت، الذي يدخل فيه إلى المدينة فارس ممشوق القامة، متين البنيان، تفوح منه رائحة الفتوة، على متن جواد أسود أدهم، ينافس راكبه شبابا وقوة، وراحا يقطعان معا سوق المدينة، الذي انتهت تجارته، وبدأ بائعوه يلملمون ما تبقى من بضاعتهم، ويحصون ما ربحوه من مال، استعدادا للعودة إلى ديارهم..

ولأن (قيجاطة) مدينة تجارية، اعتادت استقبال الوافدين، من كل المدن والقرى المحيطة، لم يلفت الفارس وجواده انتباه الكثيرين، إلا وهو يستوقف بعض المارة، ويسألهم:

- اطمع في أن يرشدني أحدكم إلى دار الحاج (حسام بن على)..

لم يكن الاسم غامضا أو مجهولا، فالحاج (حسام) واحد من أفضل من أنجبتهم (قيجاطة)، في تاريخها الطويل، وهو تاجر معروف، ومناضل قديم، من أولئك القلائل، الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن بقاء العرب في (الأندلس)، وإذكاء ثار الحماسة في نفوسهم، حتى يتحدوا، ويهبوا لملاقاة العدو القشتالي، الذي يتوغل في كيانهم أكثر وأكثر..

لذا فقد أرشد العديدون الفارس إلى دار الحاج (حسام)، ولم يكد يبلغها، حتى قال لحارسها في لهجة قوية:

- أخبر الحاج (حسام) أنني أحمل له رسالة خاصة، وأنني أنشد ضيافته، حتى مطلع شمس الغد.

تطلع إليه الحارس في شيء من الشك والحذر، وألقى نظرة قلقة على قوسه، وسيفه، وجعبة الأسهم المعلقة على كتفه، قبل أن يقول:

- تفضل في المضيفة على الرحب والسعة، حتى أبلغ مولاى.

ترجل الفارس عن جواده، وعلق قوسه على سرجه، وأضاف إليه جعبة الأسهم، وهو يبتسم، قائلا:

- أهذا يشعرك بالأمان أكثر؟

صمت الحارس لحظة، قبل أن يقول في حزم:

- لو أضفت إليهما سيفك فحسب.

اتسعت ابتسامة الفارس، وانتزع حزام السيف وغمده، وعلقهما في رقبة الجواد، قائلا:

- ألا تعتقد أنك حذر أكثر مما ينبغي؟

أجابه الحارس في هدوء، لا يخلو من الحزم:

- الحذر أفضل من الندم.

ثم أشار إلى الداخل، مستطردا :

- والان تفضل.

تقدم الفارس خطوة، ثم تراجع في هدوء، والتقط سهما من جعبته، فانعقد حاجبا الحارس، وتحركت يده في حركة عفوية إلى مقبض سيفه، فأشار الفارس بيده، قائلا:

- رويدك يا رجل.. السهم لا يقتل وحده دون قوس.. إنما هي عادة أتفاءل بها فحسب.

صمت الحارس لحظات، وهو يرمقه بنظرة متحفزة، ويدير الأمر في ذهنه، ثم لم يلبث أن اعتدل، قائلا:

- فليكن.. سأبلغ مولاى.

دلف الفارس إلى المضيفة، وألقي نظرة على وسائدها وطنافسها، وتلك النافورة الصغيرة في

منتصفها، وهز رأسه، مغمغما :

- من الواضح أنك تحيا حياة مرفهة يا حاج (حسام).

في نفس اللحظة، كان الحاج (حسام) يعقد حاجبيه الكثين الأشيبين في حيرة، وهو يسأل حارسه:

- لم يخبرك حتى عن اسمه؟!

أجابه الحارس:

- كلا يا مولاي.. كل ما قاله هو: أنه يحمل رسالة خاصة.، وينشد ضيافتك، حتى مطلع الشمس.

هز الحاج (حسام) رأسه في حيرة، مغمغما :

- عجبا !.. من يمكن أن يرسل فارسا مجهولا برسالة؟!

اعتدل الحارس، قائلا في حزم:

- هل أعود فأصرفه يا مولاي؟

انتفض الحاج (حسام)، هاتفًا :

- اياك يا ولدي.. بغض النظر عن الرسالة، فالفارس ينشد ضيافتنا، والحاج (حسام) لا يرد ضيفا أو يصرفه قط.

ثم نهض، وأشار إليه في حزم، مستطردا :

- اذهب إلى مولاتك، وأخبرها أن لدينا ضيفا عابر سبيل، سيقضي ليلته في ضيافتنا.. فلتعد الطعام، وتذبح الذبائح.. لا أريد أن يبيت ضيفنا جائعا.

قالها، واتجه في خطوات حاسمة حازمة إلى المضيفة، ولم يكد يلمح الفارس، حتى قال في حرارة:

- مرحبا.. مرحبا بأخ العرب.

نهض الفارس يستقبله بابتسامة كبيرة، وهو يقول:

- انت الحاج (حسام).. أليس كذلك؟!

أجابه الحاج في هدوء:

- بلى يا ولدي.. تفضل بالجلوس.. نزلت أهلا وحللت سهلا.. اعتبر نفسك في دارك.

التقط الفارس نفسا عميقا، قبل أن يقول:

- عندي رسالة لك يا حاج (حسام).

أشار الحاج بيده في حزم، قائلا:

- ليس الآن يا ولدي.. الرسالة يمكنها أن تنتظر، دعنا نقم بواجب ضيافتك أولا.

ارتسمت على شفتي الفارس ابتسامة كبيرة، وهو يقول:

- فليكن أيها الحاج.. أنا جائع بالفعل.

قال الحاج في حزم:

- دقائق ويأتي الطعام يا ولدي..

وراحا يتسامران ويتحاوران، حتى جاء الطعام، فشمر الحاج أكمامه، وراح يقدم الطعام لضيفه،

ويسقيه بيديه، حتى اكتفي وشبع، فأمر برفع صحاف الطعام، وإعداد أقداح الشاي، قبل أن يقول:

- اعذرني يا ولدي، ولكننا تحدثنا طويلا، دون أن أسألك عن اسمك.

اعتدل الفارس، وهو يقول:

- اسمي سيدهشك حتما يا حاج (حسام)، فلست عربيا كما تتصور، وإنما أنا قشتالى.

اتسعت عينا الحاج في دهشة، وهو يهتف:

- قشتالي؟!.. ولكن لغتك العربية لا غبار عليها !!

ابتسم الفارس في شيء من السخرية، قائلا:

- لهذا اختاروني، لأوصل إليك الرسالة.

سأله الحاج في توتر:

- اية رسالة؟

استل الفارس من طيات ثيابه خنجرا ماضيا بغتة، وانقض به على الحاج (حسام)، وغرسه حتى مقبضه في قلبه، هاتفا:

. هذه.

اتسعت عينا الحاج في ألم، ودار حول نفسه، هاتفا بصوت مختنق:

- خيانة.. خيانة..

ثم هوى جثة هامدة.

وفي سخرية، أخرج الفارس ذلك السهم من جيبه،

وكسر رأسه، وألقاه إلى جوار جثة الشيخ، قائلا:

- بل قل: بطولة، أيها العربي الساذج.

وفي سخرية، أخرج الفارس ذلك السهم من جيبه، وكسر رأسه.
وألقاه إلى جوار جثة الشيخ..
قالها، وأطلق صفيرا، تجاوب معه جواده بصهيل قوى، فانطلق يعدو نحو الشرفة، في نفس اللحظة التي ظهر فيها الحارس، واستل سيفه، صارخا في غضب وارتياع:

- يا إلهي... مولاى (حسام) قتل.. خيانة.. مولاى (حسام) قتل.

وانطلق خلف القشتالي، الذي وثب عبر النافذة، إلى صهوة جواده، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية..

وانطلق يعدو به مبتعدا، في قلب الليل..

وصرخ الحارس:

- اوقفوه.. أوقفوا الخائن..

إلا أن صرخته ضاعت في الهواء، والفارس القشتالي يبتعد..

ويبتعد..

ويبتعد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يفارق الملك (فرناندو) شرفة حجرته لحظة واحدة، منذ استيقظ من نومه، مع شروق الشمس، وظلت عيناه معلقتين بالسماء طوال الوقت، حتى أن الملكة (إيزابيلا)، ملكة (قشتالة) و (ليون)، قالت له في عصبية:

- ماذا أصابك اليوم يا ملك القشتاليين؟.. هل صرت مجذوبا، لا يمل التطلع إلى السماء؟!

انعقد حاجباه في شيء من الغضب، وهو يغمغم:

- مجذوب؟!

ثم استدار إليها، مستطردا في شيء من السخرية:

- ماذا أصاب (إيزابيلا) التقية الورعة؟.. لماذا تلوث لسانها الجميل بتلك الألفاظ، التي لا تصلح إلا للرعاع والسوقة؟!.. أهي عدوى من جنودك الأوغاد، أم رغبة في التشبه بجواريك الحسان؟!

بدا عليها الغضب، وهي تقول في حدة:

- جنودى هم جنودك يا ملك القشتاليين، أما جوارى، فأظنك أكثر معرفة بهن منى.

ابتسم ساخرا، وهو يتجه إلى المنضدة، ويصب لنفسه كأسا من الخمر، مجيبا:

- بالتأكيد.

ثم رفع كأسه في وجهها، مستطردا:

- ولكن هذا ليس الشيء الوحيد الذي أجيده.

قالت بسرعة:

- بالطبع.. هناك التآمر أيضا.

برقت عيناه ببريق ساخر، وهو يجرع كأسه دفعة واحدة، واحتقن وجهه في شدة، وهو يقول:

- هذا صحيح.. التآمر هو موهبتي الأولى، وستثبت الأيام هذا: عندما تجعلك براعتي في التآمر ملكة على (غرناطة).

مطت شفتيها، قائلة:

- سمعت هذا ألف مرة من قبل.

أشار بسبابته، قائلا:

- في هذه المرة سيكون الإيقاع مختلفا بالتأكيد..

انعقد حاجباها، وهي ترمقه بنظرة شك، وقالت في شيء من الحدة:

- يلوح لي أنك تخفي شيئا.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة، راحت تتسع في سرعة، حتى تحولت إلى ضحكة مجلجلة، جعلتها تهتف غاضبة:

- انت تخفي شيئا حتما.

تعلقت عيناه بغتة بنقطة ما في السماء، وفوجئت به يندفع إلى الشرفة، هاتفا:

- آه.. إنها هي على الأرجح..

أسرعت خلفه إلى الشرفة، وتابعت ببصرها واحدة من الحمام الزاجل. تطير نحو برج القصر مباشرة، ثم سألته في توتر:

- ما الذي تنتظره؟

أجابها في لهفة:

- رسالة من (بابلو).

كررت في دهشة:

= (بابلو)؟!

أومأ برأسه إيجابا، وهو يعود في خطوات سريعة إلى الحجرة، ويصب لنفسه كأسا من الخمر في انفعال، قائلا

- (بابلو دي لوركا)، حارسي الخاص.

سألته في توتر:

- ولماذا يرسل لك (بابلو) رسالة؟

جرع كأسه الثانية دفعة واحدة أيضا، وهو يجيب:

- سترين بعد لحظات..

لم تمض دقائق معدودة، حتى وصل أحد الحراس حاملا الرسالة، التي وصلت بها الحمامة، ففضها (فرناندو) في لهفة، وألقي نظرة سريعة عليها، تألقت معها عيناه، قبل أن يطلق ضحكة ظافرة، هاتفا:

- رائع يا (بابلو).. رائع.

سألته الملكة (إيزابيلا):

- ماذا تقول الرسالة؟

ألقاها إليها، هاتفا:

- (بابلو) نجح في التخلص من الحاج (حسام بن على).

سألته في حيرة:

- ومن (حسام بن على) هذا؟!

قهقه ضاحكا مرة أخرى، وهو يقول:

- يا له من سؤال... من الواضح أنك تجهلين الكثير عن خصومنا يا ملكة (قشتالة) و (ليون).. الحاج (حسام بن على) واحد من ثلاثة رجال، تقوم على أكتافهم الروح الحماسية والقتالية للعرب، وتلتهب لخطبهم المشاعر، وتتأجج ضدنا، مما يجعل بلوغ هدفنا شاقا عسيرا.

ثم فرقع سبابته وإبهامه، مستطردا:

- ولكن لو تخلصنا منهم، فلن تصبح المهمة بالصعوبة نفسها.

اتسعت عيناها، وهي تهتف:

- هل أرسلت (بابلو) لاغتيال الحاج (حسام) هذا؟

صاح فجأة:

- خطأ.

ثم صب لنفسه كأسا ثالثة، مستطردا:

- لقد أرسلته لاغتيال ثلاثتهم.

وارتشف هذه المرة رشفة صغيرة من كأسه، قبل أن يتابع في حماس:

- وعندما ينجح في هذا، سيصبح طريقنا إلى (غرناطة) مفتوحا، وسنضع نهاية للوجود العربي فيها، وفي (الأندلس) كلها..

قالها، وعاد يطلق ضحكة عالية مجلجلة، و...

وشامتة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استنشق الشيخ (فاضل القرطبي)، قاضي مدينة (بسطة) نسيم الصباح العليل، في شرفة داره، وملأ صدره بالهواء النقي، وهو يغمغم:

- صباح جديد، ورزق جديد، من الخالق (سبحانه وتعالى).. اللهم ارحمنا برحمتك، وارزقنا من رزقك، وأعنا على حياتنا وهمومنا.

ثم التفت إلى ابنه (همام)، مستطردا:

- سرّج جوادى يا ولدي.. الطقس صحو، أحب أن أعدو بجوادي، في الحقول قليلا.

ابتسم (همام)، قائلا:

- سمعا وطاعة يا أبي.. دقائق ونخرج معا.

أومأ القاضي برأسه في ارتياح، مغمغما:

- بارك الله فيك يا ولدي.. بارك الله فيك.

كان يشعر بالسعادة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى) قد أنعم عليه بولد صالح، أطوع له من بنائه، يحسن صحابته ورعايته في شيخوخته، ويسعى لكل ما يرضيه أيضا..

ففي دقائق معدودة، كان (همام) قد أسرج الجوادين، وانطلق مع والده وسط الحقول الخضراء الغناء، وهو يسأله في اهتمام:

- قل لي يا أبي: هل تؤمن حقا بأنه مازال بوسعنا استعادة (الأندلس)؟

تنهد الشيخ (فاضل)، قبل أن يجيب:

- مازلت أومن بأنه مازال هناك أمل، لو أننا عدنا إلى إيماننا، وصدقنا، وتعففنا عن المفاسد، وتآزرنا كيد واحدة، في وجه القشتاليين.

سأله ابنه في حذر:

- وهل تعتقد ان هذا ممكن؟

صمت الشيخ لحظات، واكتست ملامحه بالحزن وهو يجيب:

- كل شيء ممكن يا ولدي.. كل شيء.. المهم أن تتسلح بالإيمان والأمل.

قال ابنه في أسى:

- ولكن كيف السبيل إلى هذا يا أبي، وأمراؤنا يعيثون فسادا في الأرض، ويتجاهلون العدو، و..

بتر عبارته بغتة، وهو يتطلع بعيدا، فسأله الشيخ (فاضل)، وهو يدير عينية إلى حيث ينظر:

- ماذا هناك يا ولدي؟

أشار (همام) إلى ظل شجرة قريبة، قائلا:

- هناك رجل يراقبنا هناك..

لم يكد يتم عبارته، حتى خرج الرجل وجواده من دائرة الظل، واتجه نحوهما، قائلا للقاضي:

- صباح الخير.. أنت الشيخ (فاضل).. أليس كذلك؟

أومأ القاضي برأسه إيجابا، وهو يسأل:

- بلى يا ولدي.. من أنت؟

أجابه الرجل في شيء من السخرية:

- انا رسول، أحمل إليك هدية.

قال الشيخ في دهشة:

- رسول؟.. رسول من يا ولدي؟ وأية هدية تلك التي تحملها؟

استل الرجل سيفه بحركة حادة سريعة، وهو يهتف:

- رسول ملك (قشتالة) يا شيخ المأفونين، وها هي ذي هديته.

صرخ (همام)، عندما رأى السيف يهوى على عنق والده:

- لا.. أبى.

واستل سيفه بدوره، لينقض على (بابلو)، صارخا:

- انت قتلت والدي أيها القشتالي.. أنت تستحق الموت.

استقبل (بابلو) سيف (همام) على سيفه، ثم تراجع بحركة ماهرة، وانقض على الشاب في سرعة، وأطاح بسيفه بضربة قوية..

وفجأة، وجد الشاب نفسه أعزل، فهتف:

- ايها الحقير.. كنت أتمنى أن أحتفظ بسيفى، لأواصل القتال معك حتى النهاية.

أطلق (بابلو) ضحكة ساخرة، هاتفا:

- لا تقلق يا فتى.. إنها نهايتك في كل الأحوال.

ووثب إلى الأمام، يغمد سيفه في صدر الشاب، الذي جحظت عيناه، وهوي إلى جوار جثة أبيه

وفي لامبالاة ظافرة، انتزع (بابلو) سهما من جعبته، وكسر رأسه، ثم ألقاه إلى جوار الجثتين، قبل أن يقهقه ضاحكا، ويقول:

- لم أكن أعلم أن اغتيال زعماء العرب هينا إلى هذا الحد.

وجذب عنان جواده، الذي أطلق صهيلا قويا، وهو يضرب الهواء بقائمتيه، قبل أن ينطلق براكبه، في طريقهما إلى (غرناطة)، لأداء المهمة الثالثة..

والأخيرة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2- الفارس..

انطلق سهم قوى، يشق الهواء، في منطقة المخيم الصغير، على مشارف (غرناطة)، ومرق وسط لهيب شمعة كبيرة واجتث طرف فتيلها المشتعل، دون أن يسقط أو يمس الشمعة نفسها، قبل أن ينغرس في جذع شجرة، على بعد مترين منها، وارتفع صوت يهتف في مرح:

- مرحي يا فتى.. لقد فعلتها.

خفض (فارس) قوسه، وهو يملأ صدره كله بالهواء، في سعادة ظافرة، ومعلمه (مهاب) يستطرد في حماس:

- ارأيت يا مولاي الوزير؟.. عندما تحديته أن يفعلها، لم أكن أتصور أنه يستطيع هذا فعلا.

ابتسم الشيخ في وقار، وهو يقول:

- لا تنس أنه تلميذك يا (مهاب).

التفت (فارس) إلى (مهاب)، مضيفا:

- وما زلت أدين لك بالفضل.

ربت (مهاب) على ظهره في قوة، قائلا في سعادة:

- انني أشعر بالفخر لهذا يا ولدي، ولكنك تلميذ فاق أستاذه.. أنا نفسي لا يمكنني فعل هذا.

هز الشيخ رأسه في بطء، قائلا:

- كفى يا (مهاب)، وإلا أصبته بالغرور.

مط (مهاب) شفتيه، وهز رأسه، وهو يقول:

- انت على حق يا مولاي الوزير.. لا ينبغي أن أبالغ في مدحه.

أشار الشيخ بسبابته، قائلا في صرامة:

- حذار يا (مهاب).. إنك تخاطبني بهذا اللقب كثيرا، في الآونة الأخيرة، وهذا يعرضنا جميعا للخطر.

احتقن وجه (مهاب)، وهو يغمغم:

معذرة يا سيدي.. لم أنتبه إلى...

قاطعه (فارس) بغتة، وهو يشير إليه في حزم، ويرهف سمعه، قائلا:

- أصمت.

أطبق (مهاب) شفتيه في سرعة، والتفت إليه مع الشيخ في تساؤل، وأدهشهما أن اتجه إلى جواده (رفيق) في خطوات واسعة سريعة، ثم يثب على متنه، دون أدنى صوت، ويقبض على معرفته، هامسا في أذنه:

- في هدوء يا (رفيق).. لا نريد أن ينتبهوا إلينا.

همس (مهاب) في توتر:

- ماذا حدث بالضبط؟!

أشار إليه الشيخ، هامسا:

- اصمت وانتظر.. إنه يعرف ما يفعله جيدا.

انطلق (رفيق) يخوض الدغل المجاور في خفة، كما دربه (فارس)، الذي لاذ بالصمت بدوره، وعيناه تدوران وسط الأغصان المتشابكة، وهو يرهف سمعه إلى أقصى حد.

كان حفيف الأغصان، الذي يتسلل إلى أذنيه خافتا حذرا، يرشده إلى رجلين، يتسللان على جواديهما عبر الدغل، فجذب معرفة جواده في رفق، وهو يهمس:

- قف.. انتظرني هنا..

ثم وثب يتعلق بغصن كبير، وقفز منه إلى آخر حمله إلى قمة إحدى الأشجار، في خفة مدهشة وهدوء شديد، وهناك استقر جامدا ساكنا، كتمثال من المرمر، يراقب المكان في حذر وانتباه..

وهناك استقرّ جامدًا ساكنًا، كتمثال من المرمر، يراقب المكان في حذر وانتباه..

ثم لمح الرجلين..

كانا يتجهان بجواديهما في حذر، نحو النقطة التي يختبئ فيها، ثم توقفا بغتة، وأشار أحدهما إلى حيث يقف جواده، ثم راحا يقتربان منه في حذر، و...

وفجأة، انقض عليهما (فارس)..

هبط من فوق الشجرة، ليركل أحدهما في وجهه، في نفس اللحظة التي تعلق فيها بحرملة الثاني، وجذبه ليسقط من فوق جواده..

وعلى الرغم من أنه لم يكن يحمل سلاحا، انقض (فارس) على الرجل الأول، ووثب على متن جواده خلفه، واستل سيف الرجل بحركة سريعة، وهو يقول:

- الرجل لا يتسلل على هذا النحو إلا...

قاطعه صوت هادئ وقور:

- الا لو لم يكن يرغب في أن يراه أحد.

كان الصوت مألوفا، حتى أن (فارس) التفت إليه في سرعة، هاتفا:

- مولاى (ابن الأحمر).

كان أمير (غرناطة) على متن جواده، يقف وسط الدغل، في شموخ واعتداد، وهو يقول:

- هو أنا يا (فارس).. إنك تثير دهشتي وإعجابي دوما يا فتى، فعلى الرغم من أنني أحضرت أفضل

رجلين من جيش حراسى معي، وأنا أتسلل إلى هنا، إلا أنك كشفت أمرنا، وهزمتهما كالمعتاد.

نهض الحارس من الأرض، وهو يقول مرتبكا:

- لقد باغتنا يا مولاي، و...

قاطعه الأمير في صرامة:

- محاولة التبرير تزيد موقفك سوءا يا رجل، فلو كان (فارس) خصما، لما كنت حيا الآن، لتبرر فشلك في التسلل إلى مخيمه.

قفز (فارس) من فوق جواد الحارس، وهو يقول:

- انت على حق يا مولاي.. إنهما يحتاجان إلى مزيد من التدريب، على يد معلم سلاح لا يشق له غبار.

ابتسم الأمير، قائلا:

- هل تقترح اسما بعينه؟

انحنى (فارس) أمامه، قائلا:

- مولاي يعرف أكثر مني من يصلح لهذه المهمة.

تنهد الأمير، وهو يومئ برأسه إيجابا، قائلا:

- ليته يقبل المهمة يا ولدي.

ثم استعاد صرامته الوقور، وهو يضيف:

- والآن، قدني إلى الوزير، فهناك أمر أحب أن أناقشه معكم.

وانعقد حاجباه، ودهو يستطرد في حزم:

- امر قد يتوقف عليه مصير مملكة (غرناطة) كلها.

وكان صوته وهو ينطقها، يحمل رنة عجيبة..

رنة ألم..

وأسي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا التوتر واضحا، في ملامح التاجر اليهودي (إفرام بن إسرائيل)، وهو يتهادى بجواده، على مشارف مدينة (غرناطة)، وعيناه تدوران فيما حوله في قلق بالغ، فابتسم معاونه (شيلوك)، وهو يقول في خفوت، تفوح منه رائحة الخبث:

- اطمئن يا مولاى.. سيصل في موعده.

زفر (إفرام) في توتر زائد، وهو يقول:

- كيف هذا، وقد تأخر عن موعده بالفعل.. ها هي ذي الشمس تكاد تبدأ رحلة الغروب، ولم يظهر جواده بعد.

أجابه (شيلوك) بذلك الخبث، الذي بدا وكأنه جزء من تكوينه الشخصي:

- لا تقلق يا مولاي.. الطريق من (بسطة) إلى هنا طويل، ولا أحد يدري ماذا حدث هناك.

التفت إليه في ارتياع، قائلا:

- تظنه فشل في مهمته في (بسطة)؟

كاد (شيلوك) ينفجر ضاحكا، وهو يقول:

- انا لم أقل هذا يا مولاي.. ولم أقصده أيضا، وإنما عنيت أن أداء المهمة هناك لا يرتبط حتما بموعد ثابت.. ربما لم تحن فرصة مناسبة بعد، ولهذا أعطونا موعدين لاستقباله، أحدهما الآن، والآخر صباح الغد.

تنهد (إفرام) في توتر أكثر، وهو يقول:

- لماذا اختاروا موعدين في وضح النهار؟!.. ألم يكن من الأفضل أن يصل ليلا؟!

تنحنح شيلوك، قائلا:

- معذرة يا مولاي، ولكن وصوله ليلا أكثر خطورة، فالعشرات يروحون ويجيئون في وضح النهار، ومولاى (بابلو) عربى الملامح كما يقولون، وهذا يجعل وصوله في المواعيد العادية أقل إثارة للشبهات والانتباه.

رمقه (إفرام) بنظرة صارمة، قبل أن يقول في حدة:

- قل لي يا (شيلوك): لماذا أشعر دائما بأنك تعرف أكثر مما تعلن؟

انكمش (شيلوك) وأحاط نفسه بغلاف بائس متمسكن: وهو يجيب:

- انا مجرد عبد من عبيد مولاى.

رمقه (إفرام) بنظرة أخرى، وهم بقول شيء ما، عندما اعتدل (شيلوك) فجأة، وهو يشير إلى نقطة ما، قائلا:

- يبدو أنه وصل يا مولاى.

نجح هذا القول في جذب انتباه (إفرام) في شدة، إلى النقطة التي يشير إليها (شيلوك)، فاشرأب

بعنقه، ليتطلع بعيدا، حيث ظهر فارس على جواد أدهم يعدو به وسط التلال، في طريقه إلى المدينة..

ولدقائق، لم ينبس (إفرام) أو (شيلوك) بحرف واحد، وهما يتابعان ذلك الفارس، الذي واصل طريقه نحوهما، حتى توقف عندهما، ومسح عرقه بيده، وهو يبتسم، قائلا:

- يوم حار.. أليس كذلك؟

أسرع (إفرام) يجيب في انفعال:

- بلي، ولكن برد (غرناطة) أسوأ من حرها في المعتاد.

اتسعت ابتسامة الفارس، وهو يقول:

- هذا لو أنها ستشهد بردا آخر.

ارتجف جسد (إفرام) في انفعال، بعد أن تأكد، من العبارات المتبادلة، والمتفق عليها مسبقا، أن الواقف أمامه هو نفسه (بابلو دي لوركا)، رسول ملك (قشتالة)، في حين ابتسم (شيلوك)، وهو ينحني قليلا، قائلا:

- مرحبا بك في (غرناطة) يا سنيور (بابلو).

أشار إليه الفارس في هدوء حازم، قائلا:

- لا تستخدم هذا الاسم أبدا يا رجل.. إنني أستخدم هنا اسما عربيا.

انحنى (شيلوك) مرة أخرى، قائلا:

- وهل لي أن أعرف ذلك الاسم، الذي يستخدمه مولاى؟

شد (بابلو) قامته على جواده، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يداعب مجموعة الأسهم في جعبته،، قائلا:

- ما رأيك في (سهم)؟!.. هذا الاسم يروق لى كثيرا.

ازدرد (إفرام) لعابه، قبل أن يقول:

- مرحبا بك في (غرناطة) يا سيد (سهم).. هيا بنا نذهب إلى داري، فهناك سيكون الحديث أكثر متعة..

وجذب عنان جواده، وهو يضيف متوترا:

- وأكثر أمنا..

جذب (بابلو) نفسا عميقا، ملا به صدره القوي، ثم انطلق مع مرافقيه إلى دارهما..

وإلى قلب (غرناطة)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- اسمه (بابلو دي لوركا)....

نطق الأمير (ابن الأحمر) العبارة في حزم، يمتزج بالكثير من التوتر، وهو يجلس في خيمة الشيخ، مواجها إياه، مع (فارس) و (مهاب)، قبل أن يزدرد لعابه، ويتابع:

- جواسيسنا في (قرطبة) أخبرونا بأمره، فهو الحارس الخاص للملك (فرناندو)، ولقد أرسله إلينا هذا الأخير في مهمة محدودة.. أن يغتال أكبر ثلاثة من رءوس الحملة الوطنية، التي تحث الناس على الاتحاد والتآزر، في مواجهة العدو القشتالي، كوسيلة لإضعاف روح التصدي والمقاومة، وفتح الطريق أمام القشتاليين، لدخول مملكة غرناطة).

سأله الشيخ في اهتمام:

- كلمة أكبر ثلاثة رءوس هذه، تجعل ذهني يقفز إلى ثلاثة أسماء بالتحديد.. الحاج (حسام بن على)، والشيخ (فاضل القرطبي)، وشقيقك الأمير (زاهر بن الأحمر).. أتظنني أصبت الحقيقة؟!

أومأ أمير (غرناطة) برأسه إيجابا، وهو يقول:

- بل أصبت كبدها مباشرة أيها الوزير، وهذا يؤكد الى أنك مازلت تحتفظ بحصافة ورجاحة عقلك، التي تميزك منذ أيام الحكم في (قرطبة).

ثم تنهد، مستطردا :

- الثلاثة الذين أشرت إليهم، هم بالفعل من تهدف إليهم عملية (بابلو)، التي أطلق عليها (فرناندو) اسم (رأس السهم)، باعتبارها وسيلة لشق طريق القشتاليين، إلى قلب (غرناطة).

سأله (مهاب) في قلق:

- وهل تعتقد أن (بابلو) هذا قادر على القيام بمهمته الحقيرة؟

تنهد الأمير مرة أخرى، وهو يهز رأسه، قبل أن يقول في أسى:

- لم يعد الأمر مجرد اعتقاد للأسف.. لقد نجح (بابلو دي لوركا) في تنفيذ ثلثي مهمته بالفعل.

انعقد حاجبا (فارس) في شدة، وهو يقول:

- هل قضى على رجلين من الثلاثة؟

أومأ الأمير برأسه إيجابا، وقال:

- نعم.. لقد قتل الحاج (حسام) منذ يومين، وتخلص من الشيخ (فاضل) وابنه صباح أمس وبعدها فقدنا أثره..

أشار الشيخ بيده، قائلا:

- لا ريب أنه في طريقه الآن إلى هنا، ليظفر بالأمير (زاهر).

قال الأمير في حسم:

- او أنه وصل بالفعل.

سأله (فارس) في اهتمام:

- لماذا لا تضعون حراسة على أبواب (غرناطة)، وتطلقون رجالكم للبحث عنه واعتقاله؟

واندفع (مهاب) يقول:

- وتحيطون مولاي الأمير (زاهر) بحراسة مكثفة في الوقت ذاته.

هز الأمير رأسه، قائلا

- الأمور لا تسير بهذه البساطة، ولو سألتم الوزير لأيد قولي هذا، فنحن أولا نجهل كيف يبدو (بابلو) هذا، ثم إن البحث عنه يستلزم مضاعفة الدوريات وتفتيش الديار الآمنة، مما سيثير موجة من القلق والفزع عند الناس، وهذا آخر ما نرغب في إثارته، والعدو يتربص بنا، أما عملية حماية الأمير (زاهر)، وإحاطته بحراسة كافية، فهي مهمة أكثر صعوبة ومشقة..

سأله (مهاب) في دهشة:

- وكيف هذا؟

أجابه الأمير:

- لأن شقيقي الأمير (زاهر) رجل عنيد، لا يمكنك إقناعه قط بالتزام قصره، وهو يصر على أن إحاطته بالحراسة أمر مرفوض ؛ لأنه يصنع حاجزا بينه وبين الناس، ويمنعه من أن يلقى عليهم خطبه الحماسية، أو يستمع إلى آرائهم وشكاواهم.

قال (مهاب) في حيرة:

- حتى وهو يعلم أنه مهدد بالاغتيال؟

تنهد الأمير، وهو يهز رأسه، قائلا:

- لم أقل لك: إنه رجل عنيد؟!

ران على الخيمة صمت قصير، استغرق دقيقة أو أقل قليلا، قبل أن يميل الشيخ نحو الأمير، ويسأله في حزم:

- ما الذي يطلبه منا مولاي، في هذا الشأن؟

صمت الأمير لحظة، قبل أن يتراجع، قائلا:

- انني أنشد تعاونكم معي كالمعتاد.

هم الشيخ بقول شيء ما، لولا أن استدرك الأمير في سرعة:

- ولكن على نحو مختلف هذه المرة.

تبادل الثلاثة نظرة سريعة، قبل أن يقول الشيخ برصانته المعهودة:

- كيف يا مولاي الأمير؟

اعتدل الأمير، مجيبا في اهتمام:

- اريد أن يتولى (مهاب) مهمة حراسة الأمير (زاهر) وتأمينه، وأن تشاركني أنت أيها الوزير مهمة

دراسة وتفنيد الموقف القشتالي، الذي دفع (فرناندو) إلى القيام بهذه الخطوة الجريئة، والنتائج التي يتوقع الوصول إليها عسكريا، لو نجحت عملية اغتيال الأمير (زاهر)، وكيفية التصدي لها، لو نجح (بابلو) في هذا لا سمح الله (سبحانه وتعالى).

ثم استدار إلى (فارس)، قائلا:

- اما أنت، فسأسند إليك المهمة الرئيسية يا فتى.

وانعقد حاجباه في جزم، وهو يضيف:

- سيكون عليك أن تنطلق في قلب (غرناطة)، للبحث عن ذلك القاتل وإيقافه، قبل أن ينجح في تنفيذ مهمته..

ووضع يده على كتف (فارس)، مستطردا :

- وهذا يعني أنك أملنا الوحيد، بعد الله (سبحانه وتعالى)، في فشل خطة القشتاليين، والقضاء على الرأس..

واكتسي صوته بصرامة بلا حدود، مع إضافته الحاسمة:

رأس السهم..

وكانت البداية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3- ثمن الدم..

لم يكد الليل يرخى سدله، على قصر اليهودي (إفرام)، حتى تسلل (شيلوك) في خفة إلى جناح الضيافة، الذي احتله الفارس القشتالى (بابلو)، ودق بابه ثلاث دقات في حذر، والتصق بالجدار، وهو يدير عينيه فيما حوله في قلق، خشية أن يلمحه أحد، حتى فتح (بابلو) باب جناحه، وألقى عليه نظرة ساخرة، قائلا:

- اذن فقد انتقلت إليك عدوى الخوف من سيدك.

أسرع (شيلوك) يدخل الجناح، قائلا:

- الحذر أفضل من الخطأ يا رجل..

أغلق (بابلو) الباب خلفهما، وهو يسأله:

- كيف تسير أمورك هنا؟

استعاد (شيلوك) ابتسامته الماكرة، وهو يجيب:

- كل شيء على ما يرام.. لقد أصبحت المستشار الأول لمولاي، ولم يعد يستطيع إنجاز شيء ما دون استشارتى.

وافقه (بابلو) بإيماءة من رأسه، قائلا:

- لقد لاحظت ذلك.. إنه لا يشك لحظة واحدة في أنك جاسوس قشتالى.

أشار (شيلوك) بسبابته، قائلا:

- وخاصة أنني يهودي مثله.

رمقه (بابلو) بنظرة خاوية، قبل أن يقول:

- وماذا عن قصر الأمير (زاهر)؟

برقت عينا (شيلوك)، وهو يجيب:

- كل شيء على ما يرام هناك أيضا..

ثم مال نحوه، مستطردا في لهجة خبيثة، وصوت أقرب إلى الهمس:

- ابنة عمي (راشيل) تعمل في قصر الأمير (زاهر)، ولقد أنبأها جدها بوجود سرداب خفى، في

أحد أروقة القصر، يقود إلى خارج أسواره، وهى وحدها تعرف سر ذلك السرداب، وستقودك عبره إلى القصر، وهناك سترشدك إلى حجرة الأمير ؛ لتتم مهمتك.

أومأ (بابلو) برأسه، قائلا:

- عظيم... يبدو أن مهمتي ستنتهي بسرعة.. هيا بنا إذن، لنجتث عنق أميركم المناضل هذا، حتى أعود لأبشر مولاى بقرب النصر.

قال (شيلوك) في سرعة:

- رويدك يا سنيور (بابلو).. لن يمكننا أن نفعل هذا الليلة.

انعقد حاجبا (بابلو) في غضب، وهو يقول:

- ولماذا؟!

أجابه (شيلوك)، وهو ينكمش في مذلة، ليس لها ما يبررها:

- (راشيل) تعمل في خدمة الأميرات الصغيرات الليلة، ولن يمكنها إيجاد حجة للخروج من القصر.

سأله (بابلو) في حدة:

-ومتى تجد هذه الحجة؟!

هز كتفيه، قائلا:

- ربما ليلة غد.

مط (بابلو) شفتيه في حنق، ثم قال في صرامة:

- فليكن يا (شيلوك).. سأمنحك وابنة عمك فرصة لليلة واحدة، وبعدها سيكون عليكما إما أن تنفذا وعدكما، وتدخلاني إلى القصر ؛ لأنهى مهمتى، أو...

وأشار إلى عنقه، مستطردا :

- او أجد لمهمتي بديلا.. أعني بديلين.

شحب وجه (شيلوك)، وارتجفت أطرافه، وهو يقول:

- ستدخل القصر غدا يا سنيور (بابلو)، بعد منتصف الليل.

وانكمش في مكانه، مضيفا :

- هذا وعد.

قالها، واندفع يغادر جناح القشتالي، وجسده يرتجف أكثر..

وأكثر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تتوقف الحركة لحظة واحدة، في قصر الأمير (زاهر)، في تلك الليلة، مع التعديلات التي يجريها (مهاب) في نظم وأساليب الحراسة، التأمين القصر، وحماية صاحبه، حتى أن قائد الحرس شعر بالحنق والسخط، مع اقتراب الفجر، فهتف ثائرا :

- لست أفهم سر هذا التوتر، إننا نقوم على حراسة هذا القصر، منذ سنوات وسنوات، دون أن تحدث فيه حادثة واحدة، فما الذي استجد الآن؟

واجهه (مهاب) في صرامة، قائلا:

- الذي استجد الآن، هو أنني صرت مسئولا عن الأمن هنا يا رجل، وأنك مضطر لطاعة أوامري، وتنفيذها دون مناقشة... هل تفهم؟!

قال الرجل في غضب:

- ولماذا تتولى أنت مسئولية الأمن هنا؟.. من تكون؟.. وما الذي استدعي وجودك؟!

شد (مهاب) قامته، وهو يقول في صرامة:

- لو أنك تجهلني، فالسيف والقوس والنشاب تعرفني، وتخضع لي مختارة، لأضرب بها صدور وأعناق الأعداء، ومجني هو المصد الأول لهجماتهم، والمدافع الأكبر عن كل من يحتمى به وانعقد حاجباه، وهو يضيف في شدة:

- انا (مهاب).. قائد فرسان أمير (قرطبة) السابق.

شهق قائد الحرس، هاتفا:

- القائد (مهاب)؟!

ودون أن يدري، وجد نفسه ينحني أمام (مهاب) في احترام، مستطردا:

- اغفر لي يا قائدى.. لو أنني أعلم ..

قاطعه (مهاب)، وهو يمنعه من الانحناء، قائلا:

- عفوا يا رجل.. لا تنحن إلا الله (سبحانه وتعالى).. أنا لم أقصد زهوا أو تفاخرا، وإنما أردت منك أن تعلم أنني لست هاويا أو متحذلقا.

هتف الرجل:

- هاويا؟!.. أستغفر الله أيها القائد.. صحيح أنني لم أعمل معك قط، إلا أنهم يتناقلون بطولاتك كالأساطير.

ثم مال نحوه، يسأله في اهتمام:

- ولكن اسمح لي يا سيد (مهاب).. هل يمكنني أن أعرف سر كل هذه الإجراءات الاستثنائية

صمت (مهاب) لحظة، ثم أجابه في حزم:

- الواقع أنه هناك محاولة لاغتيال مولاك (زاهر).

هتف في دهشة:

- اغتيال؟!.. رباه... ومن يقدم على فعل حقير كهذا؟

أجابه (مهاب):

- فارس قشتالي، يدعى (بابلو دى لوركا)، أرسله الملك (فرناندو) خصيصا لأداء المهمة، ولقد نجح بالفعل في اغتيال آخرين.. الحاج (حسام بن على)، والقاضي (فاضل القرطبي)، و...

بتر عبارته بغتة، وانعقد حاجباه في شدة، فقفزت يد قائد الحرس إلى مقبض سيفه، قائلا في توتر:

- ماذا حدث أيها القائد؟

أشار إليه (مهاب)، قائلا:

- يخيل إلى أن أحدهم يتجسس علينا.

ثم استل سيفه، واندفع نحو ستارة سميكة، فأزاحها بسرعة، ولمح شخصا. يختفي في نهاية الممر، فهتف:

- كنت على حق.

فقد كانت هناك أربعة أبواب مغلقة فيه، وسلّمان في نهايته، كل منهما يقود إلى جناح من جناحي هذا الجانب من القصر..

وانطلق يعدو نحو نهاية الممر، ولكنه لم يكد يبلغها، حتى توقف حائرا محنقا، فقد كانت هناك أربعة أبواب مغلقة فيه، وسلمان في نهايته، كل منهما يقود إلى جناح من جناحي هذا الجانب من القصر..

وكان الهدوء يخيم على المكان كله، عندما لحق به قائد الحرس، وهو يمسك سيفه بدوره، قائلا:

- هل أمسكت به؟

أجابه (مهاب)، وهو يندفع نحو أحد السلمين لقد اختفي هنا.. ابحث عند السالم الآخر.

فحصا المكانين في اهتمام، قبل أن يقول قائد الحرس في غضب:

- لا يوجد له أثر هنا.

اعتدل (مهاب)، قائلا:

- ولا هنا.. من الواضح أنه اختفى خلف أحد هذه الأبواب.

أمسك به قائد الحرس، قائلا في حزم:

- لا يمكنك البحث عنه هناك، فهذه حجرات الحريم، والأميرات الصغيرات.

صمت (مهاب) لحظة، وهو يدير عينيه في الأبواب الأربعة، قبل أن يغمغم:

- هو الفضول الأنثوي أم..

لم يتم عبارته، وإنما راح يدرس الأمر في ذهنه بضع لحظات، قبل أن يقول في حسم:

- فليكن.. هيا بنا يا رجل ؛ لنستكمل إجراءات الأمن.

وانصرف مع قائد الحرس من المكان كله، في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه دقات قلب امرأة، تختفي خلف أحد الأبواب المغلقة.

امرأة تدعى (راشيل)....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تكن الشمس قد بزغت في الأفق بعد، على الرغم من ذلك الضوء المتلون الجميل، الذي اصطبغت به السماء هناك، عندما تعالي وسط تلال (غرناطة) وقع حوافر جواد قوى، لم يلبث أن برز من وسط دغل قريب، وعلى متنه فارس شاب، يمتطيه دون سرج أو لجام، وينطلق به في رشاقة مدهشة، جعلتهما معا صورة للفتوة والقوة في ذلك العصر.

وعلى قمة تل قريب من الدغل، توقف الفارس مع جواده الأبيض، ودار حول نفسه لحظات، ليطبع صورة شاملة للموقع في ذهنه، قبل أن يربت على عنق الجواد، مغمغما:

- رويدك يا (رفيق).. إنه هنا حتما، في مكان ما.. الشيخ أكد لي هذا.

ودار بعينيه مرة أخرى في المكان كله، قبل أن يرفع رأسه إلى أعلى، ويحيط فمه براحتيه، ثم يطلق صيحة طويلة، أشبه بعواء (ابن آوى) ([1])...

ولدقيقة أو يزيد، بعد أن أطلق صيحته، ران على المكان كله سكون رهيب مهيب..

ثم انطلقت صيحة شبيهة.. ولكنها أكثر قوة.

وفي حركة سريعة، التفت (فارس) إلى مصدر تلك الصيحة الجديدة، وهو يهتف في حماس:

- ارأيت يا (رفيق).. إنه هنا بالفعل.

ومع آخر حروف كلماته، برز الفارس الآخر من وسط الدغل..

فارس زنجي، على متن جواد قوي شديد السواد، انطلق على الفور نحو التل نفسه، ولم يكد يبلغ قمته، حتى قفز عن صهوة جواده، وانحنى أمام (فارس)، الذي هتف في سعادة، وهو يمسك كتفيه، ليعاونه على النهوض:

- (فهد).. يا لسعادتى لرؤيتك!.. كيف حالك يا أخي؟

ابتسم (فهد) في صمت، وهو يربت على كتفي (فارس) بدوره، والسعادة واضحة في ملامحه،

فابتسم (فارس)، قائلا:

- صامت كعادتك يا (فهد).. يبدو أن الصمت قد التصق بك طويلا، حتى صار جزءا من شخصيتك وتكوينك.

تطلع (فهد) إلى عينيه في صمت، دون أن يعلق على قوله، فربت (فارس) على كتفيه مرة ثانية

وكأنه يتفهم الوضع، ثم قال في جدية:

- عندي مهمة لك يا (فهد).

انعقد حاجبا الزنجي القوى في اهتمام واضح، فتابع (فارس):

- القشتاليون أرسلوا واحدا من فرسانهم، ليغتال عددا من قادتنا، ولقد نجح بالفعل في قتل اثنين من أفضل قادتنا.. الحاج (حسام)، والقاضي (فاضل)..

امتزج الغضب بالعزم، في عيني (فهد)، دون أن يفصح لسانه عما يعتمل في نفسه، و (فارس) يتابع:

- وهو الآن في (غرناطة)، لاغتيال الأمير (زاهر ابن الأحمر).

اعتدل (فهد)، وقبضت يده على مقبض سيفه في صرامة، فأشار إليه (فارس)، قائلا:

- لا يا (فهد).. مثل هذه الأمور لن تحل بالقوة وحدها، فذلك القشتالي يختبئ في مكان ما، في قلب (غرناطة)، ونحن نجهل ملامحه، والمكان الذي يختفي فيه، والوسيلة التي ينوى استخدامها لاغتيال الأمير، وكل ما نملكه هو أن تحيط بالأمير، وننتظر حتى يستعد ذلك القشتالي، ويضرب ضربته، حتى نوقع به.

ثم تنهد في عمق، مستطردا:

- وأنا لا أشعر بالارتياح لهذا الأسلوب يا (فهد).. فأنا أميل للهجوم، وليس للدفاع.

وافقه (فهد) بإشارة حازمة من رأسه، فتابع (فارس) في حسم:

- لذا فقد قررت البحث عن ذلك القشتالي، في كل مكان من (غرناطة).. في كل قصر، ودار، وشارع... حتى في الأسواق ودور اللهو..

ثم رمق (فهد) بنظرة طويلة، قبل أن يقول:

- وهذا يحتاج إلى شبكة اتصالات واسعة للغاية يا (فهد).. شبكة ترتبط بالجنود، والحراس، والخدم، والباعة، والتجار..

وجذب نفسا عميقا من الهواء النقي، قبل أن يضيف:

- باختصار.. أحتاج إلى اتصالاتك الداخلية يا (فهد).

صمت (فهد) لحظات، وملامحه الجامدة لا تشف عن أي شيء مطلقا، ثم انفرجت شفتاه في مبادرة نادرة الحدوث، وانبعث من بينهما صوت قوي عميق، يقول في اقتضاب شديد:

- اتبعنى

قالها الزنجي القوى، ووثب إلى صهوة جواده الأسود، وانطلق به نحو المدينة، ومن خلفه

(فارس)، على متن جواده الشاهق البياض..

لقد بدأت المواجهة..

المواجهة الحقيقية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظ (بابلو) مع مشرق الشمس، ونهض يلتقط نفسا عميقا من الهواء النقي، عند شرفة حجرته، قبل أن يبتسم في سخرية، قائلا:

- منعش هو هواء (غرناطة).. يبدو أن هذا سر تمسك العرب بها.

لم يكد ينتهي من كلماته، حتى سمع طرقات هادئة على باب جناحه، فالتفت إليه، قائلا في صوت قوى:

- ادخل يا من بالباب.

دلف (شيلوك) إلى الحجرة، بصحبة خادمة جميلة، تحمل طعام الإفطار، على صينية من الفضة، وانحنى (شيلوك)، حتى كادت جبهته تصطدم بالأرض، وهو يقول:

- تحية لمولاى (سهم).. لقد أعددنا إفطارا شهيا، نرجو أن ينال رضاك.

ثم اعتدل يشير للخادمة في حزم، فوضعت الصينية في موضعها، وانصرفت في خطوات سريعة، وأغلقت الباب خلفها، فقال (بابلو) ساخرا:

- لست أظنك هنا من أجل صينية طعام.

ابتسم (شيلوك) ابتسامته الخبيثة، وهو يقول:

- من الواضح أن مولاي حاد الذكاء.

سأله (بابلو)، وهو يبدأ في تناول طعام إفطاره:

- ماذا لديك هذه المرة؟

انحنى (شيلوك) مرة أخرى، قائلا:

- (راشيل) رهن إشارتك يا مولاي، وستنتظرك عند الركن الشرقي لأسوار القصر، في تمام منتصف الليل.

قال (بابلو) في هدوء، وإن حملت عيناه بريق ظفر واضح:

- عظيم.. يمكنني العودة غدا إذن.

وهنا رفع (شيلوك) سبابته، قائلا:

- ولكن..

لم يزد على هذه الكلمة، ولكن اللقمة توقفت في حلق (بابلو)، وهو يقول في حدة:

- ولكن ماذا؟!

قالها، وسعل بشدة، واحتقن وجهه قليلا، فأسرع (شيلوك) يناوله قدح الماء، ولكنه ضرب يده في حدة، قائلا:

- ولكن ماذا يا رجل؟!.. هات ما لديك.. هيا..

تنحنح (شيلوك) ؛ ليضفي أهمية على حديثه، قبل أن ينحني نحو (بابلو)، هامسًا لقد كشفوا أمرك.

انعقد حاجبا (بابلو) في شدة، و (شيلوك) يقول:

- (راشيل) سمعت قائد الأمن الجديد، يتحدث مع قائد الحرس أمس، وكان حديثهما عنك، وعن محاولتك لاغتيال الأمير (زاهر).

ازداد انعقاد حاجبى (بابلو)، وهو يقول:

- حقا !!

تابع (شيلوك) في سرعة:

- (راشيل) تقول: إن قائد الأمن الجديد صارم وحازم للغاية، وأنه أجرى تعديلات عديدة في نظم الحراسة، طوال ليلة أمس، ووضع حراسا في كل ممر، وأمام كل باب، ولم يعد من الممكن دخول القصر، وإنهاء مهمتك فيه.

صمت (بابلو) لحظات، وهو يفكر في عمق، قبل أن يسأله:

- ومن قائد الأمن الجديد هذا؟

أجابه (شيلوك) في خبث:

- انه (مهاب).. قائد فرسان أمير (قرطبة) السابق.

ارتفع حاجبا (بابلو) في دهشة، هاتفا:

- (مهاب)؟!.. أما زال على قيد الحياة!

وصمت لحظات، وهو يحك ذقنه بسبابته وإبهامه، قبل أن يقول:

- في صباى، وفي أثناء تدريباتي الأولى، كانوا يضربون لنا المثل، في الشجاعة والقوة والبأس، بذلك الرجل (مهاب)..

وعاد إلى صمته مرة أخرى، ثم التفت إلى (شيلوك)، وقال في حزم:

- قل لي: هل يمكن لابنة عمك هذه، أن تحصل على أحد أزياء الحرس؟

ابتسم (شيلوك) بخبثه المعتاد، قائلا:

- هذا الأمر لا يحتاج إلى ابنة عمي، أنا يمكنني توفير الزى.

قال (بابلو):

. عظيم.. أريد الزي هنا، قبل غروب الشمس، ولتنتظرني ابنة عمك في نفس الزمان والمكان.

تضاعفت جرعة الخبث والدهاء، في ابتسامة (شيلوك)، وهو يقول:

- ولكن الحصول على مثل هذا الزي يحتاج إلى بعض المال.

التفت إليه (بابلو) بنظرة غاضبة، لم تلبث أن

تحولت إلى ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

- بالطبع.. كل شيء في حياتك يحتاج إلى المال.

. والتقط من حزامه صرة نقود، ألقاها إلى (شيلوك)، قائلا في لهجة شديدة الصرامة:

- اريد الزي قبل غروب الشمس.

التقط (شيلوك) صرة النقود في لهفة وشراهة، وتقاذفها بين راحتيه ؛ ليشنف أذنيه برنين الذهب، قبل أن ينحني في قوة، وهو يتراجع بظهره إلى الباب، هاتفا :

- كما تأمر يا مولاي.. كما تأمر..

وأسرع يغادر الجناح، قبل أن يتراجع (بابلو) في قراره، ويطالبه باسترداد ذهبه، في حين مط هذا

الأخير شفتيه في ازدراء، وبصق خلفه، قائلا:

- افرح ما شئت أيها الحقير، فكل ذهب (بابلو) سيعود إليه.

ثم استعاد ابتسامته الساخرة، مضيفا :

- بعد منتصف الليل.

واتسعت ابتسامته، حاملة كل الثقة..

وكل الشر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4-الطعنة..

لم يكن البحث عن القشتالي أبدا بالمهمة السهلة، في مدينة كبيرة، ذات أسواق ضخمة، مثل مدينة (غرناطة)، يفد إليها مئات من التجار والمشترين يوميا..

وعلى الرغم من شبكة الاتصالات الواسعة لـ (فهد)، كانت المعلومات باهتة وقليلة للغاية، حتى كاد اليأس يتملك (فارس)، لولا أن أحضر إليه (فهد) أحد خدم قصر (إفرام بن إسرائيل)، الذي قال:

- نعم.. لقد استقبل مولاي ضيفا أمس..

قال له (فارس) في اهتمام:

- صف لنا هذا الضيف.

التقى حاجبا الرجل، وكأنما يركز أفكاره، وهو يجيب:

- انه قوي البنيان، ممشوق القامة، عريض المنكبين، في الخامسة والعشرين، أو السادسة والعشرين من العمر، يرتدي ثيابا عربية، ولكنه يتمنطق بسيف كبير، له غمد فاخر، ويحمل على ظهره قوسا وجعبة نشاب، ويمتطي جوادا أدهم.

التفت (فارس) إلى (فهد)، هاتفا في حماس:

- إنه هو دون شك.

أمسك (فهد) مقبض سيفه في قوة، وانعقد حاجباه

في صرامة، في حين سأل (فارس) الخادم في انفعال:

- وأين يقيم ضيف مولاك هذا؟

أجابه الخادم بسرعة:

- في الجناح الشرقي للقصر، ولكنه الآن بصحبة مولاي (إفرام)، في ساحة القصر، حيث اللهو

والمرح.

ربت (فارس) على كتفه في حرارة، قائلا:

- شكرك يا رجل.. أشكرك كثيرا.

ثم أشار إلى (فهد)، مستطردا في حزم:

- هيا بنا.

وثبا على صهوة جواديهما، وانطلقا معا إلى قصر (إفرام)، و (فارس) يقول في حماس:

- تول أنت أمر حراس القصر، واترك لي ذلك الفارس.

لم يعلق (فهد) على العبارة، وإن انعقد حاجباه لحظة، قبل أن يستعيد وجهه جموده، ويواصل انطلاقه إلى جوار (فارس)، حتى بلغا قصر (إفرام)، فترجلا عن جواديهما، وتقدم (فارس) نحو حراس البوابة، قائلا في صرامة:

- أخبروا مولاكم أننا نرغب في مقابلته على الفور، باسم الأمير (ابن الأحمر).

كان (شيلوك) يعبر البوابة، في هذه اللحظة، ولم يكد يسمع قول (فارس)، حتى التفت إليه بحركة حادة، واتسعت عيناه في هلع، ثم عاد أدراجه وانطلق يعدو إلى داخل القصر..

ولم يغب هذا التصرف عن عيني (فارس) و (فهد)، فاستل الأخير سيفه في حركة سريعة قوية،

في حين تجاوز الأول الحراس بقفزة مباغتة، هاتفا:

- توقف يا رجل.

تحرك الحراس الخمسة في آن واحد، للتصدي للرجلين، ولكن (فهد) انقض عليهم كالوحش، وهو يطلق صرخة عظيمة، ارتجفت لها الدماء في عروقهم، قبل أن يهوى سيفه على صدورهم وأعناقهم..

أما (فارس)، فقد تجاهل ذلك الصراع العنيف عند البوابة، واستل سيفه بدوره، وهو يعدو محاولا اللحاق باليهودي (شيلوك)، قبل أن يحذر القشتالي، ولكن هذا الأخير صرخ:

- احترس يا سيد (سهم). احترس.

ومع صرخته، اندفع اثنان من رجال القصر، يعترضان طريق (فارس) بسيفيهما، فاستقبلهما بسيفه في حزم، وهوى به على عنق أحدهما، ثم استدار يستقبل سيف الثاني على نصل سيفه، ووثب يركله بقدمه في صدره، هاتفا:

- لا وقت عندي لملاقاتك الآن.

تشبث الرجل بقدمه، فهوي عليه بسيفه، صائحا:

- فليكن.. أنت أردت هذا.

ثم انطلق يواصل مطاردته لليهودي (شيلوك)، في حين استقبل (بابلو) تحذير هذا الأخير، وهو يجلس مع (إفرام)، فشهق التاجر رعبا، وصرخ:

- لقد كشفوا أمرنا.. يا ويلتى!!.. خسرت كل شيء..

أما (بابلو)، فانتفض في حزم، وألقى لثامه على وجهه، وهو يستل سيفه، قائلا:

- اصمد يا رجل.. لم نخسر شيئا بعد.

لم يكد ينطقها، حتى اقتحم (شيلوك) المكان، وخلفه (فارس)..

وقبل أن يطلق (شيلوك) صيحة واحدة، انتقى (فارس) خصمه من بين الرجلين، وأدرك أن اللثام يخفي الجاسوس حتما، فانقض عليه، صائحا في صرامة:

- فشلت خطتك أيها القشتالي..

ولكن (بابلو) استقبل السيف بسيفه، هاتفا فى سخرية:

- الست تسبق الفعل بالقول أيها العربي؟؟

ارتفع صليل سيفيهما، وهما يلتقيان ويتباعدان، فى مبارزة مدهشة، تشف عن قوة كل منهما وبراعته، وقلبه الذي لا يعرف الخوف..

ومع تبارزهما، اتجها على نحو تلقائي، إلى السلم الرخامي، الذي يقود إلى الطابق العلوي للقصر، فقفز إليه (بابلو)، وهو يضرب بسيفه، هاتفا:

- يبدو أنني مضطر لأن أشهد لك بالبراعة أيها العربي، فبنو قومك لا يصمدون أمامي كل هذا الوقت في المعتاد.

وثب (فارس) نحوه، وسيفه ينقض في مهارة، وهتف:

- هذا لأنك لم تلتق بالفرسان منهم.

اعتلى (بابلو) بضع درجات أخرى من السلم، وهو يطلق ضحكة ساخرة، قائلا:

- من قال هذا يا فتى؟.. القبور مليئة بفرسانكم الذين واجهوني سيفا لسيف.

قفز (فارس) خلفه، وهو يضرب سيفه، هاتفا:

- سأرسلك إليهم إذن، فرفاقك هناك بانتظارك..

أدرك (بابلو) أن خصمه ليس هينا، وأن المبارزة قد لا تنتهي لصالحه على الأرجح، وخاصة عندما شاهد (فهد)، وهو يقتحم القاعة بسيفه، الذي يسيل من نصله نهر من الدم، فهتف:

- يبدو أننا لن نكمل حديثنا الممتع هذا أيها العربي، فأنا مضطر للرحيل فورا.

قالها، وانطلق يقفز درجات السلم بأقصى سرعته صاعدا إلى الطابق العلوي، فهتف (فارس)، وهو يشير إلى السلم الآخر:

- (فهد).. امنعه من الفرار.

ثم انطلق خلفه، وأدهشه أن أطلق القشتالي صفيرا قويا، قبل أن يبلغ الطابق الثاني، وجرى بكل قوته نحو أقرب شرفة، ثم استدار يستقبل سيف (فارس)، هاتفا:

- ما هذه البراعة أيها العربي.. لا أحد يمكنه اللحاق بي في المعتاد.

ثم اندفع نحو (فارس) في عنف مباغت، اضطر معه هذا الأخير للتراجع بضع خطوات، فتراجع (بابلو) بدوره، ثم وثب إلى حاجز الشرفة، وأطلق ضحكة ساخرة، قائلا:

- الى اللقاء أيها العربي.

وترك جسده يهوي من الطابق الثاني، وضحكته الساخرة تجلجل في المكان..

اندفع (فارس) نحوه بسيفه في قوة، ولكن القشتالي وثب في رشاقة، وترك جسده يهوى من الطابق الثاني، وضحكته الساخرة تجلجل في المكان، فوثب (فارس) نحو النافذة، و...

وانعقد حاجباه في غضب هادر..

لقد رأى (بابلو) يقفز إلى صهوة جواده، الذي استجاب لصفيره، ووقف أسفل الشرفة مباشرة..

ولم يكد الفارس يستقر على جواده، حتى انطلق الجواد مبتعدا في سرعة ورشاقة، واختفى عند ناصية الشارع..

وأطلق (فارس) صفيره بدوره، فانتفض جواده عند باب القصر، وأطلق صهيلا قويا، وهو يضرب الهواء بقائمتيه، ثم انطلق يعدو نحو مصدر الصفير..

ووثب (فارس) من الشرفة بدوره...

واتسعت عيون المارة في ذهول..

لقد رأوا الفارس القشتالي يشب إلى جواده، الذي ينتظره تحت الشرفة، وامتلأت نفسهم بالدهشة والإعجاب، لرشاقة الفارس وقوة الجواد..

أما في هذه المرة، فكان المشهد يختلف..

لقد وثب (فارس) من الشرفة، قبل أن يبلغها (رفيق)، الذي زاد من سرعته، وقفز في الهواء،

ليستقبل فارسة، في توافق مذهل، وتزامن ما له من مثيل، ثم يواصل انطلاقته دون توقف، و(فارس) يقبض على معرفته بأصابعه في قوة، هاتفا:

- أسرع خلفه يا (رفيق).. أسرع..

انتقل حماس الفارس إلى جواده، فانطلق ينهب الأرض نهبا، في محاولة للحاق بالقشتالي، ولكن..

وآه من كلمة (لكن)!

لم يكن هناك أثر لذلك القشتالى..

لقد اختفى وسط طرقات (غرناطة)..

اختفى تماما..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ولم يختف وحده..
نطق (فارس) العبارة في غيظ، وهو يروي ما حدث للأمير (ابن الأحمر) والشيخ، وازدرد مرارته مع لعابه، قبل أن يستطرد:

- فعندما فقدت أثر ذلك القشتالى، عدت إلى قصر (إفرام بن إسرائيل)، ووجدت أن (فهد) قد ألقى القبض عليه وعلى رجاله، فيما عدا اليهودي الخبيث (شيلوك)، الذي حذر القشتالي.. لقد اختفى تماما أيضا، وكأنما انشقت الأرض وابتلعته.

قال الأمير في ضيق:

- لا ريب أنه فر منذ الدقائق الأولى للقتال ؛ فأمثاله لا يجازفون بأرواحهم قط.

قال (فارس) في شيء من الحدة:

- ولكن أين اختفى ذلك القشتالي؟!.. لقد انطلقت خلفه بعد زمن قصير، ولم أجد له أثرا.

أجابه الشيخ في رصانة:

- هناك عميل آخر للقشتاليين في المنطقة.

قال (فارس) في دهشة

- كيف؟!.. (إفرام) كان اليهودي الوحيد في المنطقة.

رفع الشيخ رأسه إليه، قائلا

- الخيانة لا تقتصر على اليهود وحدهم يا ولدي.

هتف (فارس) مستنكرا:

- رباه... هل تعتقد أنه من الممكن أن يخوننا عربى؟!

زفر الشيخ في أسف، قبل أن يقول في مرارة:

- كيف تظننا خسرنا (قرطبة) إذن؟

اتسعت عينا (فارس) في ارتياع، في حين أومأ الأمير برأسه موافقا، وهو يغمغم آسفا:

- انت على حق أيها الوزير.. أنت على حق.

ابتلع (فارس) انفعاله، وهو يسأل:

لو أنه يختفي في هذا المكان، ألا يمكننا تفتيش المنطقة كلها، و ..

قاطعه الأمير في حزم:

- هذا مرفوض تماما، فقد سبق أن أخبرتكما أن هذا كفيل بإثارة ذعر وقلق لا مبرر لهما.

قال (فارس) في ضيق:

- كيف نعثر عليه إذن؟

أشار إليه الشيخ، قائلا في رصانة:

- سنستخدم شبكة الاتصالات، التي صنعها (فهد)، فالخدم يحملون من الأسرار ما يجهله سادتهم..

هز الأمير رأسه، قائلا:

- سيظل أسلوب شبكة المعلومات هذا يدهشني بشدة ايها الوزير.. كيف جالت فكرة إنشائه بخاطرك؟

أجابه الشيخ بكل رصانة ووقار:

- لم يكن هناك أسلوب سواه، لجمع أكبر قدر من المعلومات، دون أن أفارق مخيمي يا مولاي (ابن الأحمر)، ومن يدري؟!.. ربما أصبحت هذه في المستقبل، وسيلة أو قاعدة أساسية لجمع المعلومات ([2])

أما (فارس)، فلم يبد عليه الاقتناع هذه المرة، وهو يقول:

- اظنه سيلتزم الحذر بشدة هذه المرة، ولن يمكننا الحصول على معلومات هامة من الخدم

قال الشيخ:

- لا توجد وسيلة أخرى يا ولدي، فلا أحد رأي وجهه، ولا أحد يعلم هويته.

شرد بصر (فارس) لحظات، وهو يتمتم:

- نعم.. لا أحد رأى وجهه..

ثم استدار في حركة حادة، وهو يقول:

- اغفر لي يا سيدي الشيخ.. اغفر لي يا مولاي، فلدى مهمة عاجلة..

وانطلق يعدو عبر طرقات القصر، حتى بلغ بوابته الخارجية، حيث ينتظره (فهد)، فأشار له، قائلا:

- تعال يا (فهد).. لدي مهمة عاجلة لك..

استمع (فهد) إلى تفاصيل المهمة جدا، دون أن ينبس بحرف واحد، ثم وثب على متن جواده، وانطلق به لا يلوي على شيء..

لقد أسند إليه (فارس) مهمة بالغة الأهمية، و..

والخطورة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هبط الظلام بسرعة، في ذلك اليوم، مع السحب الكثيفة، التي حجبت قرص الشمس، بعد منتصف النهار، وخلت الطرقات أو كادت في (غرناطة)، مع زخات المطر المستمرة، على نحو لم يعهده طقس المدينة الأندلسية، في مثل هذه الفترة من العام، وتحت المطر، تحرك (شيلوك) في خطوات سريعة، وهو يخفي وجهه بلثام كثيف، لا يظهر منه سوى زوج من الأعين، يطل منهما

خبث الدنيا كله، ويتلفت حوله في توتر بالغ، حاملا لفة كبيرة، اتجه بها إلى أحد المنازل في المنطقة، وطرق بابه في عصبية، وانتظر حتى سمع صوت جارية تسأل:

- من بالباب؟!

أجابها متوترا:

- انا بائع الثياب الجديد.. افتحي بسرعة.

ولم تكد الجارية تفتح الباب، حتى دلف إلى الداخل في سرعة، وهو يسألها:

- اين السيد (سهم)؟

رفعت القنديل الذي تحمله قليلا، ليغمر الضوء وجهه، ويكشف لها ملامحه، وهي تجيب:

- في حجرة الضيافة في الطابق الثاني..

تركها بغتة، وهو يتحرك في خطوات واسعة سريعة، حتى بلغ حجرة الضيافة، وقبل أن يطرق

بابها، سمع صوت (بابلو) في الداخل، يقول باللغة العربية، التي يجيدها إجادة تامة:

- لا أريد أن يعلم خادم واحد بوجودي هنا، فمن الواضح أنهم يحصلون على معظم معلوماتهم من الخدم، الذين ينتشرون في كل مكان.. فلنجعل تعاملاتنا كلها من خلال الجواري، فهن لا يغادرن المنزل، ويندر اختلاطهن بالخدم.

التصق (شيلوك) بالباب في حذر، ليختلس السمع أكثر، وصاحب المنزل يقول:

- لا بأس يا سيد (سهم)، ولكنني لا أحب أن يستمر هذا الأمر طويلا، فما داموا يعلمون أنك تستهدف الأمير (زاهر)، سيصبح الأمر بالغ الخطورة، ووجودك هنا قد يتسبب في..

سمع (شيلوك) (بابلو) يقاطعه فجأة في حزم:

- مهلا..

ثم تناهى إلى مسامعه وقع أقدامه، وهو يتجه نحو الباب في خفة، فأدرك أنه شعر بوجوده، وأسرع يتنحنح، قائلا:

- سيد (سهم).. أأنت هنا؟

فتح (بابلو) الباب في حركة حادة، ورمقه بنظرة صارمة صامتة لبضع لحظات، قبل أن يسأله في غلظة:

- متى وصلت؟

أجابه في سرعة:

- الآن.. الأن فقط يا مولاي.

وارتجف جسده مع تلك النظرة المخيفة، التي يشمله بها (بابلو)، من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه.. فأسرع يدفع إليه اللفة التي يحملها، قائلا:

- لقد أحضرت الزي الذي طلبته.

نجحت مناورته هذه في تشتيت انتباه (بابلو)، الذي التقط اللفة في اهتمام، وهو يقول:

- عظيم.

وحملها إلى داخل الحجرة، حيث يجلس عربى بدين رمق (شيلوك) بنظرة عصبية، قبل أن يغمغم:

- كيف حالك أيها اليهودي؟

انحنى (شيلوك) أمامه انحناءة كبيرة منافقة، وهو يلمس قمة رأسه بأصابعه، قائلا في مسكنة:

- في خير حال يا مولاى (حسان).. شكرا لك.. شكرا لك.

ازدرد (حسان) لعابه في توتر، وكأنما لا يروق له وجود (شيلوك) في منزله، في حين فض (بابلو)

اللفة، وفحص زي رجال الحراسة، الذي أحضره (شيلوك)، قبل أن يقول في صرامة:

- أأنت واثق من أنه نفس الزي، الذي يستخدمه حراس قصر الأمير (زاهر)؟

أجابه (شيلوك) في سرعة:

- دون أدنى شك يا سيدي.. لقد أحضره رجل من أقاربي، يعمل عند نفس الحائك، الذي يصنع ثياب رجال الحراسة هناك.

أومأ (بابلو) برأسه، قائلا:

- فليكن.. أتعشم أن تنتظرنا ابنة عمك في الموعد المتفق عليه، فقد اتخذت قراري بإنهاء تلك العملية بأقصى سرعة..

ورفع رأسه بضع لحظات في صمت، قبل أن يضيف:

- وسأبدأ رحلة العودة إلى (قرطبة) مع الفجر.

سأله (حسان) متوترا:

- لا تنس ما وعدني به الملك (فرناندو).

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (بابلو)، وهو يقول:

- اطمئن يا عزيزى (حسان).. ستحصل على عرش (غرناطة)، عندما نستعيدها من العرب

ثم أشاح بوجهه، مضيفا في اقتضاب.

- اطمئن.

نطقها وابتسامته الساخرة تتسع..

وتتسع..

وتتسع..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما بلغ الوقت تمام منتصف الليل، كان المطر المنهمر قد بلغ ذروته، وخلت الشوارع تماما من المارة، وحتى من الجنود، وعلى الرغم من هذا، كانت (راشيل) تتحرك في توتر، خارج أسوار قصر الأمير (زاهر)، وهي تتلفت حولها مضطربة، ومياه المطر تغمرها تماما، كما لو أنها خرجت على التو من البحر..

وعند الزاوية المتفق عليها من السور، توقفت (راشيل)، وأطلقت من بين شفتيها صوتا أشبه بنقيق الضفادع، ولم تعد تنتهي منه، حتى استقبلت أذناها نقيقا مماثلا، فالتفتت إليه في سرعة، ورأت (بابلو) يغادر مكمنه، وهو يتجه نعوها في سرعة، قائلا:

- هيا.. أسرعي.. قبل أن يلمحنا أحد.

سألته في دهشة، وهي تعدو إلى جواره، بمحاذاة السور:

- لماذا لا ترتدي ثياب الحرس؟!

أشار إلى لفة يحملها، من القماش المشمع ([3])، قائلا:

- ها هي ذي.. سأرتديها في الداخل، فليس من المنطقي أن يجول حارس في القصر، بثياب غمرها المطر..

أومأت برأسها موافقة، وهي تتوقف أمام جزء من السور، وتنحني لتدفع حجرا من أحجاره، ثم تديره رأسيا..

وفي بطء، تحرك ذلك الجزء من الجدار، كاشفا فجوة، أطل منها بصيص من الضوء، جعل (بابلو) يستل سيفه في سرعة، قائلا:

- أحدهم بالداخل..

أشارت إليه (راشيل)، قائلة:

أشارت إليه (راشيل)، قائلة:

– كلَّا.. لقد تركت المصباح مضاءً، ليقودنا في طريق العودة..

- كلا.. لقد تركت المصباح مضاءً، ليقودنا في طريق العودة.

أعاد سيفه إلى غمده، وهو يدلف خلفها إلى الفجوة، التي أغلقتها في إحكام، قبل أن تلتقط المصباح، قائلة:

- اتبعني

قادته عبر ممر طويل إلى قاعة صغيرة، وقالت:

- لهذه القاعة أربعة أبواب، كل باب منها هو مدخل سرى، لجزء من أجزاء القصر، وسنختار أكثرها أمنا ليقودنا إلى الداخل.

سألها، وهو يبدل بثيابه ثوب الحرس:

- كيف كشفت وجود هذا؟

أجابته في اهتمام:

- لقد صنعه مالك القصر الأول، ليمكنه التسلل خارجه وقتما يشاء، دون أن تشعر به زوجته، وكان جدى خادمه الأمين، والوحيد الذي أطلعه على سره، وعندما مات المالك، لم يعد هناك من يعرف سر ذلك المكان سوى جدي، الذي لم يبح به لأحد من ورثة الرجل، وإنما أحتفظ به كسر تتناقله عائلتي، حتى عرفته أنا.

ابتسم في سخرية، وهو يضع الخوذة المعدنية على رأسه، قائلا:

- كان جدك حصيفا على ما يبدو.

أومأت برأسها إيجابا، وهي تغمغم:

- كلنا كذلك.

ثم راحت تختلس النظر، عبر فتحات دقيقة في الأبواب الأربعة، قبل أن تشير إليه، قائلة

- تعال.. لا يوجد أحد هنا.

ودفعت أحد الأبواب، فأسرع يعبره إلى مصر من ممرات القصر، وشد قامته في ثقة واضحة، وهو يقول لها في حزم:

- قوديني إلى حجرة نوم أميركم.

أشارت بيدها، قائلة:

- كلا.. لا يمكنني أن أصحبك.. هذا كفيل بإثارة الشبهات.. سأنتظرك هنا، واتجه أنت إلى الأمام، ثم انحرف يسارا فيمينا، وستعرف حجرة الأمير فور رؤيتها، فعلي بابها حارسان قويان

ابتسم في سخرية، قائلا:

- حارسان قويان.. آه.. عظيم.

وشد قامته مرة أخرى، قبل أن يقطع الممر في خطوات واسعة واثقة..

كان يتحرك دون تردد، كما لو أنه أحد كبار حراس القصر بالفعل، حتى أن حارسى باب حجرة الأمير اعتدلا في احترام، عندما رأياه يتجه نحوهما مباشرة، فتوقف أمامهما، قائلا في حزم:

- افسحا الطريق.. عندي رسالة عاجلة لمولاى الأمير.

بدت الدهشة على الحارسين، وقال أحدهما في شك:

- رسالة عاجلة بعد منتصف الليل؟

صاح به (بابلو) في صرامة:

- وما موعد الرسائل العاجلة في رأيك أيها المتحذلق؟!

ارتبك الرجل، مغمغما:

- لم أقصد هذا يا سيدي، ولكن ..

لم يستطع إكمال عبارته مع اضطرابه، فقال زميله بسرعة:

- ولكن الأوامر الجديدة تمنع أي مخلوق من دخول حجرة الأمير، إلا بأمر مباشر من ..

قاطعه (بابلو) في حزم:

- من الفارس (مهاب)، قائد الأمن الجديد.. أليس كذلك؟

ثم أشار إلى صدره، مضيفا في قوة:

- انا الذراع اليمني لقائد الأمن (مهاب)، وأحمل الرسالة العاجلة للأمير باسمه... أفسحا الطريق

ومع لهجته الحاسمة الصارمة، لم يملك الرجلان الاعتراض، فأفسحا له الطريق بالفعل، ودفع هو باب حجرة الأمير، ودلف إليها، ثم أغلقه خلفه في إحكام، وابتسم في سخرية، وهو يلقي نظرة على النائم، مغمغما:

لم يكن الأمر عسيرا يا (مهاب).. من الواضح أن الزمن أفقدك الكثير من حنكتك وبراعتك..

قالها، واستل خنجره، وتقدم نحو الفراش، وهوى الخنجر يطعن النائم..

ويطعن..

ويطعن..

ويطعن..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5- الماضي والحاضر..

فجأة، توقف (بابلو) عن الطعن..

وفجأة أيضا، أدرك الخدعة..

وفي حركة عصبية، أزاح غطاء الفراش، ثم انعقد حاجباه، وهو يتطلع إلى الوسائد الكبيرة، التي مزقتها طعناته، قبل أن يهتف:

- اللعنة!

وفي نفس اللحظة، التي أطلق فيها هتافه، تسلل إلى أذنيه وقع الأقدام، التي تتجه إلى الحجرة بسرعة، مع

صوت يهتف:

- انه بالداخل.

انعقد حاجبا (بابلو) في غضب، وهو يتلفت حوله في سرعة، ثم اندفع نحو الشرفة، في نفس اللحظة التي اقتحم فيها الحراس الحجرة، وصاح قائدهم:

- ها هو ذا.

انطلق الحراس نحوه، ولكنه وثب عبر الشرفة، ليتعلق بالأحجار البارزة، من جدار القصر، وراح يتسلقها في رشاقة مدهشة، جعلت قائد الحراس يهتف برجاله:

- لن تفيد سيوفكم.. استخدموا أقواسكم وأسهمكم.

أسرع الرجال يصوبون أسهمهم إلى (بابلو)، الذي واصل تسلقه في مرونة، قبل أن ينطلق أول سهم نحوه، ويتحطم على الجدار، على قيد سنتيمتر واحد منه، فوثب وثبة مدهشة، ليتعلق بحافة السطح، ثم يقفز إليه..

وفوق السطح، انقض عليه اثنان من الحراس، ولكنه أغمد سيفه في قلب أحدهما، ثم انتزعه ليصد به سيف الثاني، قبل أن يدور حول نفسه دورة سريعة رشيقة، وينحني متفاديا ضربة سيف قوية، مرقت فوق رأسه مباشرة، قبل أن ينقض على الحارس الثاني، ويغوص بنصل سيفه في معدته..

وفي نفس اللحظة، التي انتزع فيها سيفه من الحارس، ظهر ستة آخرون، وصاح أحدهم، وهو

يشير إليه:

- ها هو ذا.. لا تسمحوا له بالفرار.

انطلق (بابلو) يعدو فوق الأسوار، والحراس الستة خلفه، ولكنه فوجئ بآخرين يقطعون عليه الطريق، وأدرك أنه وقع بين المطرقة والسندان، فتوقف لحظة، وقائد الحرس يهتف به:

- وقعت يا رجل.. لم يعد أمامك سبيل للفرار.

ولكن (بابلو) لم يتوقف ولم يستسلم.. لقد ألقي نظرة أسفله، ثم وثب من فوق سور القصر

ولثوان، خيل للجميع أنه فضل الانتحار على الاستسلام، إلا أنهم أدركوا، في الثانية التالية مباشرة، أنه وثب إلى شرفة أخرى من شرفات القصر..

ولم يكد (بابلو) يهبط، في تلك الشرفة الأخرى، حتى نهض واقفا في مرونة، واقتحم الحجرة التي تتصل بالشرفة، وتجاهل صراخ الأميرات الصغيرات، وهو يعدو عبر جناحهن، قبل أن يغادره إلى الممر الكبير للقصر..

وهناك، وجد حارسا، أدهشه أن يخرج (بابلو) بغتة من جناح الأميرات الصغيرات، فأسرع يستل سيفه، إلا أن (بابلو) لم يمهله، وإنما انقض عليه في قوة، هاتفا:

- دعه في غمده يا رجل

ثم هوي على عنقه بسيفه في عنف، مستطردا في سخرية:

- فلن تجد الفرصة لاستخدامه..

وانطلق يعدو عبر الممر، حتى سمع (راشيل) تهتف به، في اضطراب شديد:

- هنا.. أسرع.. أسرع..

لمحها عند نهاية الممر، وقد أزاحت جزءا من الجدار، وراحت تشير إليه، فجرى نحوها بأقصى

سرعته، حتى بلغ موضعها، و...

وفجأة، رآها (بابلو) تتراجع مذعورة، وهي تطلق شهقة فزع.

ثم انقض عليه شخص ما من الخلف، واندفع معه داخل القاعة السرية الصغيرة، قبل أن يغلق ذلك الجزء من الجدار خلفها..

وانتفض (بابلو) في عنف، ليتملص من ذراعى خصمه، وقفز واقفا على قدميه، وهو يستدير إليه في عنف..

وعلى ضوء المصباح الخافت، الذي تحمله (راشيل)، رأى (بابلو) غريمه..

واتسعت عيناه في شدة، وهو يهتف:

- عجبا !.. إنك تشبه رسما قديما لـ....

وصمت لحظة، قبل أن يندفع مستطردا:

- للفارس (مهاب).

استل (مهاب) سيفه في حركة سريعة حازمة، وهو يقول:

- انا هو أيها القشتالي.. ما رأيك؟.. أيهما أكثر تأثيرا.. الرسم أم صاحبه؟!

هتفت (راشيل) في ارتياع:

- انه قائد الأمن الجديد.. يا ويلتى!.. لقد كشف أمري.

صاح بها (بابلو) في صرامة:

- تماسكى يا امرأة.. وماذا يهم في كشفه لأمرك؟

ثم انعقد حاجباه في شدة، متابعا:

- انه لن يخرج من هنا حيا..

أطلت الصرامة من كل خلية من خلايا وجه (مهاب)، وهو يقول:

- هكذا؟!.. ما رأيك لو اختبرت هذا بنفسك أيها الوغد؟

هتف (بابلو) في مقت، وهو ينقض عليه بسيفه:

- انني أتوق لهذا منذ زمن طويل..

التقى سيفاهما، وراحا يتقارعان ويتنازلان، وصليل السيفين يجلجلان في المكان الصغير، و (بابلو) يهتف:

- في صباى، كانوا يضربون لنا المثل بك..

صاح (مهاب)، وهو يضربه بسيفه:

- وعندما تصل إلى الجحيم، ستعرف أنهم كانوا على حق.

تفادي (بابلو) الضربة، وهو ينقض بدوره هاتفا:

- لست أنوي الذهاب إلى الجحيم مبكرا يا (مهاب).. اذهب أنت أولا.

استقبل (مهاب) السيف بنصل سيفه، ودفعه في قوة، وهو يضرب في رشاقة، قائلا:

- لا صلة لي بالجحيم يا هذا.. أمثالك فقط يرحلون اليه.

كانت المبارزة قوية، و (بابلو) يقول:

- خطأ يا (مهاب).. خطأ.. عندما يتبارز الماضي والحاضر، فلا يمكن أن ينتصر القديم قط.

ثم ضرب بسيفه بكل قوته، صائحا:

- وأنت الماضي يا (مهاب)..

تعالى صليل السيوف، حتى أن قائد الحرس انتبه إليه، في ممر القصر، فهتف برجاله في صرامة:

- اصمتوا.

قالها، وأرهف سمعه في انتباه شديد، قبل أن يضيف:

- هناك مبارزة تدور في مكان ما..

دار حول نفسه في بطء حذر، بحثا عن مصدر الصوت، قبل أن تتسع عيناه وهو يغمغم:

- أمن الممكن أن..

بتر عبارته بغتة، ثم اندفع نحو الجدار، وألصق أذنه به لحظات، قبل أن يتراجع هاتفا:

- رباه!.. هذا صحيح.. هناك ممر سري خلف هذا الجدار.. أحضروا بعض الفؤوس يا رجال، أو اضربوا الجدار بسيوفكم، فالمبارزة تدور في مكان ما خلفه..

وفي نفس الوقت، الذي انهال فيه الجنود على الجدار، كانت المبارزة قد بلغت أوجها، وراح (مهاب) يحاصر خصمه في ركن القاعة، قائلا:

- ألم تعترف بعد أيها القشتالى، بأنك لست أهلا لقتال فرسان العرب؟!

كان (بابلو) قد أدرك قوة خصمه بالفعل، وأدرك صعوبة الانتصار عليه، و..

وفجأة، برقت عيناه في شدة لقد لمح (راشيل) تنقض بالمصباح على (مهاب) من الخلف

وتهوى به على مؤخرة رأسه بكل قوتها..

ومع عنف الضربة، تراجع (مهاب)، ودار رأسه في قوة، فوثب (بابلو) نحوه، ودفع سيفه في صدره، صائحا:

ومع عنف الضربة، تراجع (مهاب)، ودار رأسه في قوة، فوثب (بابلو) نحوه، ودفع سيفه في صدره..

- خسرت.. خسرت يا فارس العرب.

وحاول (مهاب) أن يتراجع، أو يقفز جانبا، ولكنه شعر بآلام مبرحة في صدره، ثم طعنه سيف (بابلو)، فعض شفتيه في قوة، ليمنع صرخة ألم، كادت تنطلق من بينهما قوية، قبل أن يسقط أرضا، مضرجا في دمه.

وبرقت عينا (بابلو) مرة أخرى، وهم بضرب عنق (مهاب) بسيفه، وهو يهتف في انفعال ظافر:

- انا فعلتها.. أنا هزمت (مهاب).

ولكن فؤوس الرجال وسيوفهم اخترقت الجدار، في تلك اللحظة، فهتفت (راشيل) في ذعر:

- أسرع يا رجل.. أسرع..

واندفعت تعدو عبر الممر، و (بابلو) خلفها، في حين تعالي صوت قائد الحرس، وهو يصرخ:

- الم أقل لكم؟.. هناك فجوة خلف الجدار.. أسرعوا يا رجال.. أسرعوا بالله عليكم..

وفي نفس اللحظة، التي اخترق فيها الرجال الجدار، وصرخ قائدهم:

- رباه!.. إنه القائد (مهاب).

كان (بابلو) و (راشيل) يغادران المخرج السرى للنفق، وينطلقان تحت المطر، ليختفيا في ظلام المدينة..

مدينة (غرناطة)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يتوقف المطر إلا مع فجر اليوم التالي، وغرقت شوارع (غرناطة) كلها بمياه الأمطار، التي غمرت الطرقات وأسطح المنازل، ومنحت إيقاعا خاصا لحوافر (رفيق)، وهو ينطلق بـ (فارس) عبر الطرقات متجها إلى قصر الأمير محمد بن الأحمر)، أمير (غرناطة)، وانفتحت أبواب القصر أمامه فور ظهوره، كما لو أن الجميع في انتظاره، فعبرها بسرعة، وتوقف في ساحة القصر، ليقفز (فارس) عن صهوة (رفيق)، هاتفا في توتر:

- اين هو؟!

أجابه حارس خاص، في اهتمام واضح:

- اتبعني يا سيدي.. إنهم في انتظارك..

قاده الحارس عبر ممرات القصر إلى جناح الحكيم وهناك رأي (فارس) الأمير (ابن الأحمر) والشيخ وحكيم القصر، يلتفون حول فراش كبير، رقد فوقه (مهاب) فاقد الوعي، والضمادات تحيط بصدره كله، فاندفع نحوه، قائلا في لهفة وانفعال:

- كيف هو؟!.. أخبروني أن القشتالى طعنه في صدره.

استقبله الشيخ في رفق، قائلا

- (مهاب) بخير يا ولدي.. سيحتاج إلى فترة طويلة، قبل أن تلتئم جراحه، ويستعيد قوته، ولكنه بخير.. الطعنة لم تبلغ قلبه لحسن الحظ.

عض (فارس) شفتيه قهرا، وهو يقول:

- اراهن على أن ذلك اللعين يحتفل الآن بانتصاره على قائد الفرسان.

قال الأمير في حزم:

- لم تكن مبارزة شريفة يا ولدي، فهناك كدمة كبيرة في مؤخرة رأس (مهاب).. من الواضح أن أحدهم باغته بضربة خلفية، سمحت لمبارزه بطعنه بغتة.

قال (فارس) في غضب:

- يا للأوغاد!

وألقى نظرة حزينة مشفقة على (مهاب)، قبل أن يتابع في توتر:

- أما زلت تصر على عدم تفتيش المنازل يا مولاى؟

تنهد الأمير، وهو يلوح بيده، قائلا:

- مازلت أصر على أنها خطوة غير مرغوب فيها في الوقت الحالي يا ولدي.

عاد (فارس) يعض شفتيه، قائلا في غيظ:

- اذن فليس أمامنا من سبيل، سوى تركه يعيث الفساد في ديارنا، في انتظار ضربته القادمة

سأله الشيخ في اهتمام:

- وماذا عن شبكة المعلومات؟!

قلب (فارس) كفيه، قائلا في حنق:

- لم ترشدنا إلى شيء هذه المرة، ولست أدري كيف.. لا أحد رأى شيئا، أو سمع شيئا، وكأنما لم يكن هناك وجود لذلك القشتالي قط.

انعقد حاجبا الشيخ، وتبادل نظرة سريعة مع الأمير، قبل أن يقول في اهتمام، وهو يداعب لحيته بأصابعه:

- اذن فقد انتبه للموقف.. من الواضح أن ذلك القشتالي أذكى وأبرع مما كنا نتوقع أو نتصور.. لقد أدرك بسرعة أن توصلنا إليه بهذه السرعة، لا يمكن أن يتأتى إلا عبر المعلومات، التي يمكن استخلاصها من الخدم في الأسواق، فاتخذ الحذر في المرة التالية.

سأله (فارس) في اهتمام:

- ولكننا نستطيع تعرفه هذه المرة، فقد رآه حارسان في قصر الأمير (زاهر).. أليس كذلك؟!

هز الأمير رأسه نفيا، وهو يجيب:

- كلا للأسف، فقد كان الضوء خافتا، وكان هو يرتدي خوذة الحرس، ولم يسهل عليهما تعرفه.

قال (فارس) في غضب:

- عظيم.. هذا يعني أن ذلك القشتالي نجح في إحاطة نفسه بشرنقة قوية، نعجز أمامها عن التوصل إليه.

التفت إليه الشيخ بغتة، قائلا:

- ولكنه لم يبذل جهدا مماثلا، من أجل (شيلوك) أو (راشيل).

التفت إليه الجميع في اهتمام، وسأله الأمير:

- ماذا تعني أيها الوزير؟

أشار الشيخ بسبابته، قائلا:

- أعنى أننا لو تتبعنا أثر (شيلوك) و (راشيل)، بدلا من ذلك القشتالي، فستوصلنا المعلومات إليه حتما.

هتف (فارس) في حماس:

- هذا صحيح.. كم أنت عبقري يا سيدي.

ثم التفت إلى الأمير، مستطردا:

- اسمح لي بالانصراف يا مولاي ؛ فقد انتهك ذلك القشتالي وطننا طويلا، وحان الوقت لإيقافه.

قال الأمير في هدوء:

- وفقك الله يا (فارس).. وفقك الله يا ولدي.

وأسرع (فارس) يغادر المكان، وهو يستعد لمواجهة جديدة مع ذلك القشتالي..

مواجهة حاسمة..

وأخيرة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكد (بابلو) يستيقظ من نومه، ويخرج لمقابلة (حسان)، في الصباح الباكر، حتى استقبله هذا الأخير في توتر شديد، وهو يقول:

- سمعت أنك فشلت في اغتيال الأمير (زاهر) أمس.

مط (بابلو) شفتيه، وهو يقول ساخرا:

- لا تستخدم كلمة الفشل هذه أبدا أيها العربي. أنا أمقتها بشدة، وما حدث لم يكن فشلا، وإنما حاول هؤلاء الأوغاد أن ينصبوا لي فخا، فخدعتهم أنا وقتلت أبرع فرسانهم، ونجوت بحياتي منهم.

قال (حسان) في حدة:

- ولكنهم كشفوا أمرك، ويعلمون أنك هنا في (غرناطة)... أطلق (بابلو) ضحكة ساخرة مستفزة، قبل أن يقول:

- انهم يعلمون منذ البداية يا رجل، ولكنهم يعجزون عن الظفر بى، فلا أحد منهم يعرف من أنا، ولم ير أحدهم وجهي واضحا قط، وبقي على قيد الحياة.

قال في عصبية:

ولكنني سمعت أنهم يحاولون إجبار (إفرام) على تعرفك.. إنه يعرفك جيدا.. أليس كذلك؟!

هز (بابلو) كتفيه لا مباليا، وهو يقول:

- هذا صحيح.. كان يعرفني جيدا.

سرت ارتجافة في جسد (حسان)، وهو يقول:

- ماذا تعني بكلمة (كان) هذه؟

ابتسم (بابلو) ابتسامة وحشية ساخرة ظافرة، وهو يجيب:

- الم تصلك الأخبار بعد يا رجل؟!.. (إفرام) مات مسموما في سجنه أمس.

انتفض (حسان) في ارتياع، في حين تابع (بابلو) ساخرا:

- أحد أبناء عمومته تقاضي منا كومة من الذهب، وأرسل إليه وجبته الأخيرة في السجن.

سأله (حسان)، وهو يزدرد لعابه في صعوبة:

- أهو (شيلوك)؟

صمت (بابلو) لحظات، ثم قال في هدوء، وهو يجلس إلى صينية الإفطار:

- لم يكن بإمكان (شلوك) أن يفعل هذا.

انخفض صوت (حسان)، وهو يسأل:

- ولماذا؟

ارتسمت ابتسامة على شفتي (بابلو)، وهو يتناول بعض الطعام في صمت، قبل أن يدفع عينيه إلى (حسان)، قائلا:

- هل تعلم؟.. عندما خرجت من هنا أمس، لم تكن لدي ذرة واحدة من الشك، في أنني سأنجح في اغتيال أميركم في فراشه، ثم أعود بعدها إلى (قرطبة) ظافرا، وفي الوقت نفسه كنت أشعر أن (شيلوك) هذا شخص لا يمكن الوثوق به أبدا، ولو أنني تركته خلفي، فلن يتردد في بيعي لأول من يدفع ثمنا مناسبا..

اتسعت عينا (حسان) في ارتياع، وهو يقول:

- هل تعني أنك..؟!

لم يستطع إكمال عبارته، فهز (بابلو) كتفيه، قائلا في هدوء، وهو يواصل تناول طعامه:

- انني أكره نقاط الضعف.

حدق فيه (حسان)، في مزيج من الذعر والهلع والاستنكار، فرفع (بابلو) عينيه الساخرتين إليه، قائلا:

- لم لا تتناول طعامك؟

ارتبك (حسان)، قائلا:

- لقد سبقتك.

ثم ازدرد لعابه في صعوبة، قبل أن يسأله:

- هل تنوي تكرار المحاولة؟!.. أعني هل ستذهب ثانية إلى قصر الأمير (زاهر)، و...

قاطعه (بابلو) في حزم:

-لم يعد هذا ممكنا. لقد انكشف أمر (راشيل) ونفقها السري، ولم يعد أيهما مفيدا.

ارتجف (حسان)، وعجزت الكلمات عن الخروج من بين شفتيه، وهو يتطلع إلى القشتالي، الذي رفع عينيه إليه، وقرأ ما يدور في ذهنه، فابتسم قائلا:

- ما تفكر فيه صحيح.

شهق (حسان)، هاتفا:

- حقا؟!.. هل قتلت (راشيل)؟!

هز (بابلو) كتفيه، وهو يقول بلا مبالاة:

- الا ينطبق عليها ما انطبق على (شيلوك)؟

صمت (حسان) بضع لحظات، وهو يراقب القشتالي، الذي يواصل تناول طعامه في هدوء شديد، وكأنه لم يزهق كومة من الأرواح منذ ساعات معدودة، وخيل إليه أن دوره آت لا ريب في القائمة، فارتجف جسمه من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، وهو يقول:

- سيد (سهم).. صدقني.. إنني أتمنى لك النجاح في مهمتك، ولكنك تقول: إنك لم تعد تستطيع دخول القصر، ولم ..

قاطعه (بابلو) ساخرا :

- وما حاجتي لدخول القصر؟

هتف (حسان) في دهشة:

- الم تقل إن...

قاطعه مرة أخرى في حزم:

- أنا لا أكرر الموقف نفسه مرتين قط.

وابتسم في خبث واضح، وهو يستطرد :

- ثم إن لدي خطة مضمونة، خاصة وأن غدا الجمعة.

سأله (حسان) في حذر:

- وما الذي يجعل ليوم الجمعة أهمية خاصة؟!

صمت (بابلو) لحظات، قبل أن تتسع ابتسامته، ويقول:

- كلكم تخرجون فيه ؛ لأداء صلاة الجماعة كما تسمونها.. أليس كذلك؟!

اتسعت عينا (حسان) في ارتياع، وهو يهتف:

- هل ستغتاله في أثناء صلاة الجمعة؟!

هز (بابلو) كتفيه، وهو يجيب:

- ولم لا؟!.. ألا يرغب في الذهاب إلى جنتكم بأقصى سرعة.

قالها وانطلق يقهقه ضاحكا، و (حسان) يحدق فيه في هلع..

لقد أدرك الآن فقط، أن ملك قشتالة لم يرسل رجلا عاديا لأداء تلك المهمة..

لقد أرسل وحشا..

وحشا كاسرا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6- العنـــــــاد..

جرع الملك (فرناندو) كأسه في عصبية واضحة، وهو يروح ويغدو في حجرته الواسعة، وتابعته (إيزابيلا) بعينيها بضع لحظات، قبل أن تقول في شيء من الضجر:

- سيقتلك يوما ذلك المزيج، من الخمر والتوتر.

التفت إليها في حدة واضحة، وهو يقول:

- ليس هذا من شأنك.

رفعت رأسها في اعتداد، قائلة:

- من قال هذا، مصرعك سيضاعف همومى حتما، فسأضطر لقيادة كل الجيش، و...

قال في عصبية

- اطمئني.. عندما ألقى مصرعى، سأكون قد أوصيت بدفنك معي حية، في قبر واحد.

ابتسمت في سخرية، قائلة:

- عندما تموت، وأصبح أنا الملكة الوحيدة لـ (قشتالة) و (ليون)، لن يبالي أحد بوصيتك.

انعقد حاجباه في غضب شديد، وهو يرمقها في مقت، قائلا:

- لماذا تتعمدين استفزازي يا (إيزابيلا)؟

أساءها أن خاطبها باسمها مجردا، ولكنها اندفعت تجيب في حدة:

- لأدفعك إلى الإفصاح عن سر توترك الشديد يا (فرناندو).

مط شفتيه محنقا، وأشاح بوجهه عنها، ولاذ بالصمت بضع لحظات، قبل أن يقول في عصبية

- (بابلو) لم يرسل أية رسائل، منذ وصل إلى (غرناطة).

سألته في دهشة:

- من المفترض أن يرسل رسائله يوميا

قال في توتر:

- من المفترض ألا يستغرق منه الأمر سوى ليلة واحدة في (غرناطة).

بدت عليها علامات التفكير بضع لحظات، قبل أن تقول:

- ربما فشل في مهمته.

هتف (فرناندو) في ثورة مباغتة:

- مستحيل!

ثم صب لنفسه كأسا أخرى، وهو يضيف متوترا :

- لا يمكن أن أخسر فارسا مثله.. إنه أفضل رجالى على الإطلاق.

رمقته بنظرة طويلة صامتة، قبل أن تسأله:

- هل تشعر بالقلق على الفارس، أم على المهمة؟

جرع كأسه دفعة واحدة، واحتقن وجهه بشدة، وهو يجيب في صوت مبحوح:

- على الاثنين معا.

والتقط نفسا عميقا.. قبل أن يستطرد :

- المهمة أيضا بالغة الأهمية.. لقد سئمت انتظار اللحظة المناسبة.. أريد أن أحطم رموز النضال عند العرب، ثم أنقض عليهم دفعة واحدة، وأسحقهم سحقا.

قالت (إيزابيلا) في اهتمام:

- ربما كان هناك سبب آخر للتأخير..

سألها في انفعال:

- مثل ماذا؟!

صمتت لحظة، قبل أن تجيب:

- ربما لم يستطع إتمام مهمته بعد، ومازال ينتظر إتمامها، ليرسل إليك الخبر.

التقى حاجبا (فرناندو) طويلا، قبل أن يهز رأسه في حماس، قائلا:

- تفسير منطقي.. منطقي للغاية.. خاصة وأن (بابلو) يتميز بعناد لا حد له.. لن يقبل التراجع قط، قبل الفوز بالنصر في المهمة.. هذه واحدة من أفضل صفاته.

أجابته (إيزابيلا):

- هذا لو أنه نجح.

بدا الغضب على وجهه، وهو يقول في حدة:

- ماذا تعنين بهذا؟

أجابته في هدوء:

- أعنى أن العناد سيصبح أجمل وأفضل صفاته، لو أنه قاده إلى الفوز بمهمته، أما لو فشل، فسيكون قد قضى نحبه بسبب عناده..

وارتفع رأسها في اعتداد أكثر، وهي تضيف في حزم:

- عناد لم يمكن كبحه في الوقت المناسب.

وتضاعفت نبرة الحزم في صوتها، مع استطرادتها الأخيرة:

- عناد مدمر.

ولم يعلق (فرناندو) هذه المرة بحرف واحد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انعقد حاجبا الشيخ في اهتمام، وهو يستمع إلى (فارس)، الذي يقول بلهجة ملؤها الحنق والضيق:

- ولقد عثروا على جثتي (شيلوك) و (راشيل) في الساعات الأولى من الصباح، داخل جوالين في

..انعقد حاجبا الشيخ في اهتمام، وهو يستمع إلى (فارس)

السوق، وكل محاولاتنا لتعقب ذلك القشتالي باءت بالفشل.. لا أحد من الخدم رآه أو سمع شيئًا عنه.

هز الأمير رأسه، قائلا:

- هذا القشتالي ليس سهلا.. إنه وحش كاسر يمشي على قدمين.. أنا لم أر في حياتي كلها رجلا يقتل بهذه السرعة والبساطة.

أجابه الشيخ في هدوء:

- انه يرفض ترك أي أثر خلفه.

قال (فارس) في ضيق:

- ويبدو أنه نجح في هذا بالفعل.

تطلع إليه الشيخ بنظرة مشفقة، قبل أن يقول في خفوت:

- انه لن يختبئ إلى الأبد..

أجابه (فارس):

- هذا صحيح، ولكننا لا نعرف متى وأين سيضرب ضربته القادمة.

قال الأمير في حزم:

- انا أعرف متى وأين.

التفتا إليه في اهتمام، فتابع على الفور:

- الأمير (زاهر) سيخرج غدا لصلاة الجمعة، وسيلقي خطبته بعدها كالمعتاد، لحث الناس على التصدي للعدو القشتالي.

هتف (فارس):

- ولكن هذا مستحيل!.. الصلاة تقام في ساحة مكشوفة، وهو يميل إلى إلقاء خطبته وسط الناس، وهذا يجعله هدفا سهلا لأي شخص، يندس بين الجموع -

تنهد الأمير، قائلا:

لقد شرحت له هذا، ولكن لا يمكنك تصور مدى إصراره وعناده.. إنه يرفض الفكرة كلها، ويؤكد أنه ما من انتحاري يجرؤ على اغتياله، وسط كل من يحيطون به ؛ لأنه يعلم أن الناس سيمزقونه إربا لو فعل.

قال (فارس) في توتر:

ربما لا يعني قاتله كثيرا ما يمكن أن يصيبه، بعد أن يتم مهمته.

قال الأمير:

- لقد ناقشته في هذا أيضا، ولكن حديثي أثار مزيدا من عناده، فهو يرى أنه لو أن القاتل لا يهتم بمصيره، فمن الأجدى ألا يهتم هو نفسه بما يمكن أن يصيبه، ما دام يفعل ما يؤمن به،

ويؤدي رسالته على أكمل وجه.

هز الشيخ رأسه، وهو يقول في وقار:

- الأمير (زاهر) طراز نادر من الرجال، ولن يتراجع عما ينتويه قط.

قال (فارس) في دهشة:

- حتى ولو كان الثمن هو حياته.

ابتسم الشيخ، مغمغما:

- حتى ولو كان كذلك..

صمت (فارس) لحظات مفكرا، ثم قال:

- في هذه الحالة، ليس أمامنا سوى تشديد الحراسة حوله، وتأمين سلامته بقدر استطاعتنا.

قال الأمير في حزم:

- هذا ما أصدرت أوامري بشأنه.. ستخرج فرقة كاملة لحراسة الأمير (زاهر)، وهو يؤدي صلاة الجمعة، ويلقي خطبته في الجماهير.

سأله (فارس):

وهل سيدخلون المسجد بسيوفهم؟

هز رأسه نفيا، وهو يجيب:

لن يخرجوا حتى في زيهم الرسمي.. سيحيطون به لحمايته في ثياب عادية، حتى يبدوا كمجموعة من المصلين، ولا يلفتوا إلية الانتباه.

قال (فارس)، وهو يومئ برأسه:

- أتعشم أن يفلح هذا.

وعندما تجاوزت العبارة شفتيه، وتسللت إلى أذنيه، أدرك على الفور أنه لم يستطع كتمان مشاعره، التي خرجت معها..

لقد كانت لهجته تحمل الكثير من القلق والحذر..

والخوف..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تزايد توتر واضطراب (حسان)، وراح يتصاعد تدريجيا، منذ هبوط الليل، حتى بلغ حدا مخيفا مع قرب منتصف الليل، دون أن يغمض للرجل جفن، أو يتوقف لحظة واحدة عن الدوران في حجرته كالطاحونة القديمة.

كان واثقا من أن (بابلو) لا يدخر له خيرا، بعد انتهاء مهمته..

لقد هاله ما فعله بـ (شيلوك) و (راشيل)، بعد أن انتهت حاجته إليهما، ووقر في نفسه أن مصيره لن يختلف كثيرا عن مصيريهما..

ولكنه لا يدري ما الذي يمكنه فعله!!..

هل يبادر بقتل (بابلو)، قبل أن يقتله؟!..

أم يبلغ الأمير بشأنه؟!..

إنه يخشى أن يسعى لقتل ذلك القشتالي، فتفشل محاولته، ويفقد حارسه الخاص، ويصبح معرضا لانتقام (بابلو)..

ولا ريب في أن انتقامه سيكون رهيبا..

إنه لن يتردد لحظة واحدة في تمزيقه إربا، وإلقاء جثته لكلاب الطرقات، دون أن يطرف له جفن..

وارتجف جسده في رعب هائل، وهو يتخيل ما يمكن أن يفعله به (بابلو)، وامتقع وجهه في شدة، وهتف بصوت خافت:

- لا.. لا.. الفكرة غير صائبة بالتأكيد..

ولكن بإزاحة فكرة القتل، لا تتبقى أمامه سوى فكرة وحيدة..

إبلاغ الأمير..

ومرة أخرى، ارتجف جسده في قوة..

كيف سيبلغ الأمير؟..

وبم سيبرر موقفه؟!..

كيف يقنعه بأنه لم يتعاون مع القشتالي منذ البداية؟!..

لا بد أن يجد وسيلة..

لا بد.

- فيم تفكر يا (حسان)؟..

باغته السؤال، وهو غارق في أفكاره، فانتفض في قوة، وقفز من مكانه، وهو يطلق شهقة قوية، هاتفا:

- سيد (سهم)؟ ...

وتراجع ملتصقا بالجدار، وهو يرتجف في هلع، والرعب يطل من عينيه واضحا، مع تحديقه في وجه (بابلو)، الذي اقترب منه في بطء، ووجهه يحمل ابتسامة مخيفة، حتى كاد يلتصق به، وتطلع إلى عينيه مباشرة، قائلا في بطء:

- هل أخفتك إلى هذا الحد؟!

اتسعت عينا (حسان) في هلع، وتجمدت الكلمات على طرف شفتيه لحظة، قبل أن يغمغم بصوت مختنق مبحوح:

- ولماذا تخيفني يا سيد (سهم)؟

قال (بابلو) في بطء مخيف:

- خبرني أنت.

حاول (حسان) أن يزدرد لعابه، إلا أنه عجز عن هذا تماما، فاختنق صوته، وهو يقول:

- لا أحد يخاف صديقا يا سيد (سهم).

تطلع (بابلو) إلى عينيه لحظة في صمت، وكاد (حسان) يسقط صريع الرعب والفزع، خلال تلك اللحظة، قبل أن يتراجع (بابلو)، مكررا:

- انت على حق.. لا أحد يخاف من صديق.

ثم أبتعد بضع خطوات، وتابعه (حسان) ببصره، وقد احتبست أنفاسه، وراح قلبه يخفق في عنف، حتى ألقي (بابلو) جسده على أريكة واسعة، وسأله:

- اين اعتاد الأمير (زاهر) أداء صلاة الجمعة؟

أجابه (حسان) متحشرجا:

- في الساحة الكبيرة وسط المدينة.. إنه يؤدي فيها الصلاة، وبعدها يقف خطيبا، ويلتف الجميع حوله، ثم سأله في حذر:

- هل تفكر في التسلل وسط الجموع، وقتله غيلة؟

ارتسمت على شفتي (بابلو) ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

- التسلل وسط الجموع؟!

وانفجر ضاحكا، على نحو ارتجف له جسد (حسان)، قبل أن يضيف:

- كلا يا رجل.. لست أظنني أفعل هذا.. إنها فكرة ساذجة للغاية.. كيف تطعن خطيبا وسط مستمعيه؟.. إنهم لن يتورعوا عندئذ عن تمزيقك إربا..

سأله (حسان) في خفوت

- كيف يمكنك قتله إذن؟

رمقه (بابلو) بنظرة طويلة، قبل أن يقول فجأة في سخرية:

- اما زلت ملتصقا بالجدار؟!

انتفض جسد (حسان)، وهو يبتعد عن الجدار في حركة حادة، قائلا:

- كلا يا سيد (سهم).. كلا.. لم أعد كذلك.

قهقه (بابلو) ضاحكا في سخرية، ونهض قائلا:

- هذا أفضل.

ثم اتجه إلى خارج المكان في خطوات هادئة، ولم يكد يبلغ مخرجه، حتى توقف لحظة، ثم التفت إلى (حسان) في بطء، قائلا بابتسامة ساخرة:

- نم جيدا..

وغادر المكان في حركة سريعة، فاتسعت عينا (حسان) في هلع، وظل جسده ينتفض لحظات، قبل أن يغمغم:

- هذا الرجل سيقتلني حتما.. لن يتركني حيا أبدا..

وراح يفرك كفيه، وهو يدور في المكان كالمجنون، وقد وقر في نفسه أنه الضحية القادمة للقشتالى حتما، وأخذ يحدث نفسه، مغمغما:

- انه يجبرني على معاونته.. نعم.. هذا هو التفسير الأمثل.. سأخبرهم أنه أجبرني على مساعدته.. لقد احتل منزلي، وهددني بالقتل، لو أبلغت الأمير بشأنه.. إنها أفضل فكرة.

وعاد يدور في المكان، وهو يبحث عن وسيلة لإبلاغ الأمير بهذا..

لن يمكنه بالطبع الذهاب بنفسه..

(بابلو) لن يسمح له..

ثم إن هذا لن يبدو منطقيا..

الأفضل أن يرسل رسولا إلى قصر الأمير..

ولكن، هل يرسله في هذه الساعة المتأخرة؟!..

بالطبع.. لا بد أن يرسل رسوله في مثل هذه الساعة..

هذا يجعل الأمور أكثر قوة، وأكثر منطقية..

من الطبيعي أن يعجز عن إرسال رسوله في ساعات النهار العادية..

سينتظر حتما حتى ساعة متأخرة..

راقت له الفكرة، وبدت منطقية للغاية، فاجتاحه الانفعال، وراح قلبه يخفق في عنف، وهو يتسلل إلى جناح الحريم، ويوقظ جاريته، هامسا:

- تعالي.. أريدك في أمر عاجل.

تثاءبت الجارية، ولملمت نفسها، قائلة:

- امر مولاى.

اصطحبها إلى خارج الجناح، وهمس لها في انفعال:

- اريد منك أن تذهبي إلى قصر الأمير (ابن الأحمر).

هتفت في دهشة:

- الآن!!

قال في عصبية، وبصوت شديد الخفوت:

- اخفضي صوتك يا امرأة.. نعم.. أريد منك أن تذهبي الآن.. لن يفيدني ذهابك في أي وقت آخر.

كانت دهشتها كبيرة، ولكنها قالت صاغرة:

- انا رهن إشارة مولاى..

مال نحوها، قائلا في انفعال:

- اذهبي إلى هناك بأقصى سرعة، وأبلغيهم الرسالة التالية:

وراح يمليها ما ينبغي قوله للأمير، بحيث يبدو وكأنها تستنجد به ؛ لإنقاذ سيدها من ذلك القشتالي الذي احتل منزله بالقوة، وأجبره على التعاون معه، ثم قادها إلى باب المنزل، قائلا:

- هيا.. انطلقى.

غادرت المنزل، فأغلق الباب خلفها في إحكام، وعاد إلى جناحه في سرعة وخفة، لا تتفقان مع بدانته الواضحة، وألقى نفسه فوق أول أريكة صادفته، وهو يلهث في شدة، من فرط التوتر والانفعال، وهو يتساءل..

هل تنجح جاريته في مهمتها؟!..

هل تبلغ الأمير؟..

لو أنها فعلت، يكون هو قد نجا..

صحيح أن ملك (قشتالة) قد وعده بعرش (غرناطة)، ولكن كل شيء يبدو له الآن مخالفا لما كان ينتظره أو يتصوره..

لقد اتضحت له الرؤية، بعد فوات الأوان، وأدرك أن القشتاليين لن يمنحوا امتيازا واحدا لعربي

إنهم يسعون للبحث عمن يتعاون معهم، ويفتح لهم السبيل إلى (غرناطة)، وإلى إحكام قبضتهم على (الأندلس) كلها، مقابل وعود كبيرة، لا ينوون الوفاء بها...

هذا ما تكشف له الآن..

خوفه من (بابلو) أزال الغشاوة عن عينيه، وجعله يرى الموقف في وضوح تام، و...

- لم تنم بعد أيها العربي؟..

اخترق صوت (بابلو) أذنيه كسهم مسموم، جعله ينتقض في هلع، ويهتف:

- سيد (سهم)؟!

وكاد يصرخ في رعب، عندما استل (بابلو) سيفه من غمده، وسقطت من النصل قطرة من دم طازج، وهو يقول:

- هل يمكنك تعرف هذا الدم يا (حسان)؟!

تجمد (حسان) في مكانه، وكاد قلبه يتوقف عن النبض، و (بابلو) يدني السيف من عينيه، قائلا:

- انظر إليه جيدا.

ثم انعقد حاجبا القشتالي في صرامة مخيفة، وهو يستطرد:

- انه دم جاريتك

أطلق (حسان) صرخة مكتومة، وراح جسده يرتجف في عنف، وترقرقت الدموع في عينيه،

و (بابلو) يقول في غضب:

- لقد أرسلتها لتبلغ الأمير بأمري.. أليس كذلك؟

بكى (حسان)، وهو يقول في ضراعة:

- سيد (سهم).. لا بد أن تفهم.. أنا لم أقصد..

قاطعه (بابلو) بسرعة:

- لا تحاول يا (حسان).. جاريتك أخبرتني كل شيء، قبل أن أجتز عنقها، وألقي رأسها للكلاب

انهمرت دموع (حسان) في غزارة، وهو يقول:

- الرحمة يا سيد (سهم).. الرحمة..

جلس (بابلو) على مقربة منه في هدوء، وهو يقول:

- هل تعلم يا (حسان)؟!.. كنت أتوقع هذا منك.. أنت خائن لوطنك، والخونة جميعهم يتميزون بأمر واحد.. أنهم جبناء غرارون.. لا يتورعون لحظة عن طعن أقرب المقربين إليهم في ظهورهم، للفوز بغنيمة بسيطة.. ولأنك خائن، كنت أتعامل معك بحذر، فمن يخون وطنه، لا يمكنه قط أن يعرف الوفاء مع الأخرين..

سقط (حسان) أرضا، وأمسك قدم (بابلو)، هاتفا:

- سأفعل كل ما تأمرني به يا سيد (سهم).. كل ما تريده.

هز (بابلو) رأسه في بطء، قائلا:

- لم أعد أحتاج إليك للأسف يا (حسان).. تماما مثلما لم أكن بحاجة إلى (شيلوك) و (راشيل).

اتسعت عينا (حسان) في رعب هائل، وهو يهتف:

- (شيلوك) و (راشيل)؟!

رفع (بابلو) سيفه، قائلا في صرامة:

- نعم يا (حسان).. لم أعد بحاجة إليك أيضا.

وهوى سيفه على عنق الخائن، ثم هتف:

- أرأيت يا (حسان).. دماؤك أتلقت ثوبى.

ودفع الجثة بعيدا، وهو ينهض مستطردا في سخرية:

- ولكنني سأسامحك لهذا، ولن أعاقبك من أجله..

وفي هدوء، مسح نصل سيفه في ثياب الرجل، ثم غادر المنزل كله، وهو يحمل قوسه وجبة أسهمه على كتفه، وقفز على صهوة جواده، قائلا له:

- هيا أيها الجواد.. سنستعد لأخر خطوة في المهمة كلها.

قاد الجواد في طرقات (غرناطة)، حتى بلغ الساحة الكبيرة، فدار حولها قليلا، وهو يفحص المنازل المحيطة بها ببصره، حتى انتقي من بينها منزلا، اتجه إليه بجواده، وتوقف إلى جواره، ثم نهض يقف فوق الجواد، ووثب يتعلق بحافة سطح المنزل، ثم دفع جسده إليه، ورقد فوقه، وقال للجواد:

ثم نهض يقف فوق الجواد، ووثب يتعلَّق بحافة سطخ المنزل، ثم دفع جسده إليه..

- ابتعد أيها الجواد.. اختلط بالجياد في المنطقة، ولكن كن يقظا طوال الوقت، فربما أحتاج إليك في أية لحظة.

ابتعد الجواد بالفعل، وكأنه فهم العبارة، في حين خلع (بابلو) قوسه عن كتفه، وانتزع سهما من

جعبته، ورقد ينتظر انبلاج الصباح، واقتراب موعد صلاة الجمعة، حيث سينفذ آخر عملية في مهمته..

مهمته القاتلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7- رأس السهم..

انتشر جنود أمير (غرناطة)، حول الساحة الكبيرة، في ثياب مدنية، تحت قيادة كبير فرسان القصر، الذي قال لهم في حزم:

- لا أريد أن يشعر شخص واحد بوجودكم.. راقبوا كل غريب يلفت انتباهكم، وكل شخص تشتبهون في أمره، وكونوا على أهبة الاستعداد في كل لحظة.. لا تسمحوا لأحد بالاقتراب من الأمير (زاهر) أكثر مما ينبغي، وخاصة لو أنه يحمل سلاحا، ولا تنتظروا اللحظة الأخيرة للتدخل

سأله أحدهم في اهتمام:

- وماذا عن صلاة الجمعة؟

أجابه كبير الفرسان في حزم

- انها الفترة التي تحتاج منكم إلى جل انتباهكم، فلو أن أحدهم يسعى لاغتيال الأمير، فلن يجد فرصة أفضل من استغراق الأمير ومن خلفه في صلاتهم، وخشوعهم في سجودهم وركوعهم.

قال الرجل في قلق:

- ولكن هذا يعني أننا لن نؤدي صلاة الجمعة.

أجابه كبير الفرسان في حزم:

- انها حرب يا رجل، والضرورات تبيح المحظورات.

هذا ما لقتنا إياه ديننا الحنيف.. ستظلون متأهبين طوال الصلاة، وبعدها ستنقسمون إلى فريقين، فيؤدي فريق صلاة الظهر، ويواصل الفريق الثاني عمله، حتى ينتهي الأول، فيؤدي الصلاة بدوره.. الموقف يحتاج منا إلى اليقظة الدائمة، تماما كالحروب.

ظهر الأمير (زاهر) في هذه اللحظة، محاطا بحشد من الرجال، من مختلف طوائف الشعب، على نحو يشف عن شعبيته الساحقة، وهو يقترب من الساحة، فاستطرد كبير الفرسان:

- ها يا رجال.. الآن يبدأ عملكم..

اتجه كل منهم إلى موقعه، في حين تابع كبير الفرسان حركة الأمير (زاهر)، الذي بلغ المساحة بعد مسيرة بطيئة ؛ بسبب التفاف الناس حوله، ولم يكد يصل إلى الخطيب، حتى استقبله هذا الأخير بترحاب شديد، وصافحه في حرارة، ثم دعاه إلى إلقاء خطبة الجمعة بنفسه، ولكن الأمير ربت على كتفه، وهو يعتذر في دماثة، ويؤكد له أنه أحق منه بهذا، ثم أدى ركعتى سنة المسجد، واتخذ مجلسه في الصف الأول..

في حين انهمك رجال الأمير في مراقبة المارة، والقادمين لأداء صلاة الجمعة، ووجوه الغرباء،

وأبواب المنازل المحيطة بالمكان، دون أن يخطر ببالهم لحظة واحدة، أن خصمهم هناك..

فوق سطح المنزل المواجه للساحة تماما..

لقد اتخذ مكمنه منذ ساعات طوال، وقبل أن ينبلج الصباح ؛ لأنه يعلم أنه من المستحيل أن يصعد إلى السطح في وضح النهار، دون أن يجذب إليه انتباه الجميع وشكوكهم..

وكان كل شيء يسير كما خطط له تماما..

إجراءات الأمن تدور على قدم وساق، في كل مكان، دون أن ينتبه شخص واحد إلى وجوده، أو يراوده الشك بشأن مخبئه..

لقد صبر طويلا ليظفر بخصمه...

ولم يعد يفصله عنه سوى دقائق معدودة..

فقط عندما تنتهي خطبة الجمعة، وينهض الأمير مع الجميع لأداء الصلاة، ثم يستغرقهم الموقف الروحاني تماما، و ..

ويطلق هو سهمه..

ومن المؤكد أن إصابة الأمير، في تلك اللحظة، كفيلة بإثارة كم هائل من الاضطراب والبلبلة، يتيح له فرصة الفرار، قبل أن تمتد إليه يد واحدة..

لقد أعد خطته في حنكة ومهارة هذه المرة..

ولم يعد هناك سبيل للفشل..

أي سبيل..

وفي هدوء، التقط قوسه، وسهما من جعبته، ودس قاعدة السهم في وتر القوس، وجذبه في بطء، وهو يتابع الخطبة، التي اقتربت من نهايتها، وعينه لا تفارق ظهر الأمير قط..

لقد اختار النقطة، التي سيصوب إليها سهمه..

منتصف مؤخرة عنق الأمير بالضبط..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يتخيل الموقف، وردود أفعال الجميع..

ثم انتهت خطبة الجمعة، وانطلق المؤذن يعلن قيام الصلاة ويدعو إليها.

وانتبهت حواس (بابلو) في شدة، عندما نهض الأمير مع الجماعة، وبدأت الصلاة..

وفي بطء، جذب وتر قوسه، وهو يصوب السهم إلى هدفه بمنتهى الدقة..

كان الهدف واضحا أمامه..

وهو واثق تمام الثقة من قدرته على إصابته..

وارتفع (بابلو) بجسده في بطء، ليحسن تسديد

سهمه، ولم يعد أمامه سوى أن يفلت الوتر، فينطلق السهم، ويستقر في مؤخرة عنق الأمير

وتنتهي المهمة..

تنتهي بنجاح منقطع النظير..

ولكن فجأة، ظهر ذلك الفارس الشاب، الذي يرفل في ثوب ناصع البياض، وخوذة فضية، تنعكس عليها أشعة الشمس.

ظهر بغتة من خلف الساحة، وهو يشير إليه:

- ها هو ذا.

كانت مفاجأة حقيقية للقشتالى، الذي انعقد حاجباه في شدة، وهو يفلت الوتر، ويطلق القوس نحو الهدف.

ومع انطلاق السهم، اندفع (فارس) نحو الأمير (زاهر) بأقصى سرعته، ثم وثب يحيط وسطه

بذراعيه، ويدفعه معه أرضا، في نفس اللحظة التي مرق فيها السهم على قيد سنتيمترات قليلة منهما.

وفي غضب هادر، صرخ القشتالى:

- اللعنة!

وساد الاضطراب في المكان، وهتف الإمام في دهشة:

- ماذا يحدث هنا؟!

ولم يكن بحاجة فعلية للجواب، الذي بدا واضحا للغاية.

لقد حاول أحدهم اغتيال الأمير (زاهر)..

ولم ينتظر (فارس) ليشرح ما حدث، وإنما نهض في سرعة، وانطلق يعدو نحو ذلك المنزل، الذي يقف فوقه القشتالي، الذي أطلق صفيره القوي، فظهر جواده الأسود في المكان، وهو يعدو نحوه، وقفز هو إلى متنه، وهو يستل سيفه، ويهوى به على عنق أقرب جندي، حاول الانقضاض عليه، قبل أن ينطلق بالجواد بأقصى سرعته..

وهتف (فارس):

- الىّ يا (رفيق).

وقبل أن ينتهي هتافه، كان جواده الأبيض يشق طريقه بين الجموع إليه، فتعلق (فارس) بمعرفته وجرى إلى جواره لحظة، ثم وثب إلى متنه بحركة رشيقة، وانطلق خلف القشتالي..

حدث كل هذا بسرعة مدهشة، حتى أن أحد المصلين هتف مبهورا:

- ماذا حدث؟!.. لقد أفسدوا صلاة الجمعة!!

التفت إليه الأمير (زاهر)، قائلا في صرامة:

- لا أحد، مهما علا شأنه، يمكنه أن يفسد صلاة الجمعة، أو أية صلاة أخرى يا رجل.. الصلاة لله (سبحانه وتعالى)، وليست لبشر.

واعتدل مستطردا:

- هيا أيها السادة.. سنترك لهم مهمة السعي خلف القاتل، ولنكمل نحن صلاتنا.

ولم تمض لحظات على قوله، حتى كان الخشوع يغلف الجميع، وهم يؤدون صلاتهم، ويحمدون الله سبحانه وتعالى) على نجاة الأمير.

أما (فارس)، فقد انطلق خلف القشتالي، الذي ألقى لثامه على وجهه، وهو يشق طريقه وسط الطرقات الخالية، بسبب صلاة الجمعة.

ولأول مرة، منذ بدء مهمته، شعر (بابلو) بقلق حقيقى.

لقد اختبر خصمه من قبل، ويدرك أنه ليس بالخصم السهل، ثم إن جواده الأبيض قوي بالفعل، ولن يلبث ان يصل إليه، وعندئذ سيضطر للمبارزة، ولن يكون هذا في صالحه أبدا، وسط مدينة تكتظ بأعدائه..

لذا كان من الضروري أن يلجأ إلى الحيلة..

وبسرعة، دارت عيناه فيما حوله، وهو ينطلق بجواده، و ..

وفجأة، لمح وسيلة للخلاص..

قائم خشبي، يبرز من الطابق الثاني لأحد المنازل..

وفي حزم، لكز (بابلو)، جواده، هاتفا:

- اسرع أكثر أيها الجواد.. أكثر..

ثم رفع قدميه، واستند إلى السرج بكعبيه، وتأهب، وقفز فجأة..

والواقع أن (فارس) لم يكن يتوقع هذه المبادرة.. لقد انطلق بكل قوته خلف خصمه، متصورا أنه سيواصل المطاردة حتى أبواب المدينة، ولم يتصور أبدا أن القشتالي سيبتر المطاردة على هذا النحو العجيب

وأمام عينيه مباشرة، رأى القشتالي يتعلق بالقائم الخشبي، ثم يدور بنصف جسده حوله في مرونة، قبل أن ينثني، وينفرد، ويقفز إلى سطح المنزل..

وجذب (فارس) معرفة جواده، وهو يهتف به:

- قف يا (رفيق).. قف.. لقد خدعنا الرجل.

توقف (رفيق)، بعد أن تجاوز ذلك المنزل بالفعل، فأداره (فارس) إليه، ووقف على ظهره، ووقف يتعلق بالقائم بدوره..

وفي رشاقة، لا تقل عن رشاقة القشتالي، وثب إلى السطح، ورأى (بابلو) يعدو بعيدا، ويقفز من سقف إلى آخر، فاندفع نحوه، وراح يعدو خلفه، ويقفز بدوره من سطح إلى آخر، في محاولة للحاق به...

وكان من الواضح أن القشتالي خصم لا يستهان به..

وأن الظفر به لن يكون سهلا أبدا..

ولكن (فارس) أيضا كان خصما لا يستهان به أبدا..

لقد واصل المطاردة في إصرار شديد، وراح يقترب من (بابلو) رويدا رويدا، على الرغم من الجهد الهائل، الذي يبذله كلاهما، بالقفز من سطح إلى آخر.

وأدرك (بابلو) أن (فارس) ظافر به لا محالة، فقال:

- الفرار لن يفيد يا (بابلو).. لا مفر من المواجهة..

وفي لحظة واحدة، اتخذ قراره، واستدار يواجه (فارس) في حزم..

وتوقف (فارس) في مواجهة خصمه، واستل سيفه، وهو يقول في صرامة:

- لا فائدة من محاولة الفرار أيها القشتالي.. لقد انكشف أمرك، وانتهى كل شيء.

قال (بابلو) ساخرا:

- حقا؟!.. يا لقوة كلماتك أيها العربي.. إنني أرتجف هلعا..

قال (فارس) في صرامة:

- هل ستستسلم بإرادتك، أم أضطرك لهذا؟!

أجابه (بابلو) في سخرية:

- بل اضطرني لهذا أيها المغرور.

ثم انقض بغتة، مستطردا:

- وفورا.

التقى سيفاهما فوق السطح، وراحا يتبارزان في قوة، وسيفاهما يصلصلان في المكان كله، ويلتقيان في قوة، ثم يفترقان في عنف..

كان من الواضح أنهما خصمان متكافئان إلى حد كبير.

وأنه من المستحيل أن يتنبأ شخص ما بنتيجة المبارزة..

ولكن (بابلو) كان يتميز عن (فارس) بأمر بالغ الأهمية..

بالخبث والدهاء.

والوحشية..

وفي مرونة، تراجع (بابلو) خطوة، وهو يستقبل سيف (فارس) بسيفه، قائلا في سخرية:

- ضرباتك قوية أيها العربي، على الرغم من صغر سنك.

ضربه (فارس) بسيفه في قوة، قائلا:

- هذا لأنني تلقيت دروسي على يد أقوى فرسان هذا العصر أيها القشتالي.. الفارس (مهاب).

انعقد حاجبا (بابلو)، وهو يصد الضربة بسيفه هاتفا:

- آه.. أنت تلميذ (مهاب) إذن..

ثم انقض بغتة في عنف، وهو يصرخ:

- بلغه تحياتي في الجحيم إذن.

كانت انقضاضة عنيفة قوية رشيقة، تراجع (فارس) أمامها في سرعة، وانحنى متفاديا نصل السيف القوي، وهو يدفع قدمه إلى الخلف، و...

وفجأة، غاصت قدمه في الفراغ..

لقد تجاوز حافة السطح، دون أن يدرى، فاختل توازنه، و...

وهوى.

وفي نفس اللحظة، التي سقط فيها من السطح، انطلقت ضحكة (بابلو) الساخرة.

ضحكة استفزازية عنيفة، اخترقت قلب (فارس)، قبل أن تخترق أذنيه، وهو يدفع يديه إلى الأمام، محاولا التعلق بأي شيء..

أي شيء..

ولكن زاوية سقوطه لم تكن تمنحه الفرصة لهذا لذا فقد هوى إلى الأرض مباشرة.

ومن حسن حظه أن الارتفاع لم يكن يتجاوز الطابقين..

ثمانية أمتار فحسب، قطعها جسده في لحظة، قبل أن يهبط على قدميه، ثم يسقط على ظهره، وضحكة (بابلو) الساخرة تبتعد، وتبتعد، وتبتعد..

وفي نفس اللحظة، ظهر الجنود، وهم يعدون نحوه، فهتف بهم:

- انه على السطح.. أعني فوق الأسطح.. الحقوا به..

وبسرعة، تسلق الجنود ما يحيط بهم من منازل، في محاولة للحاق بالقشتالى، إلا أن هذا الأخير لم يكن هنالك..

لقد اختفى هذه المرة أيضا..

اختفى تماما..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- لست أدري أين ذهب هذه المرة..

لوح (فارس) بذراعيه في توتر، وهو ينطق العبارة الأخيرة، فهز الشيخ رأسه في وقار، وهو يقول:

- لا بأس يا ولدي.. لا بأس.. يكفيك ظفرا أنك أفسدت خطته، وأنقذت الأمير (زاهر) في اللحظة الأخيرة.

قال (فارس) في ضيق:

- معذرة يا سيدي، ولكنني أعتقد أن هذا وحده لا يكفي، فما دام ذلك القشتالي هنا، فإنه سيعيد الكرة مرات ومرات..

قال الأمير في اهتمام

- اعتقد أن موقفه لم يعد بالقوة التي كان عليها يا فتى، فلقد عثروا على التاجر (حسان) قتيلا في منزله، وعثروا على جاريته الأثيرة مقطوعة الرأس على بعد شارع واحد منه، وباستجواب جارية أخرى، أفادت بأنها تشك في ذلك الضيف، الذي قدم إليه على نحو مريب، في نفس

اليوم الذي هرب فيه منك ذلك القشتالي، في المرة الأولى، كما أكدت أن (شيلوك) كان يزور ذلك الضيف كثيرا.

عقد (فارس) حاجبيه، وهو يقول:

- اذن فقد كان يختبئ في منزل (حسان).. يا للخائن!.. كيف يساعد قشتاليا؟

تنهد الشيخ، قائلا:

- الطمع يا ولدي.. طمع الدنيا يعمى العيون ويصم الأذان، ويغلق العقول.

وافقه الأمير، وهو يكمل حديثه، قائلا:

- هذا صحيح أيها الوزير.. ولكنني لا أعتقد أنه هناك خائن آخر، يمكنه أن يخفي ذلك القشتالي في منزله، وهذا يعني أنه صار شريدا في (غرناطة)، ومن السهل كشف أمره.

انهمك (فارس) في التفكير لحظة، قبل أن يقول في حزم:

- أو أنه سيغادرها مؤقتا.

سأله الأمير في اهتمام:

- ماذا تعني يا فتى؟!

أجابه (فارس) في حماس:

- اعني أن هذا القشتالي بالغ الذكاء والبراعة يا مولاي الأمير، ومثله سيدرك بسرعة أن وجوده في (غرناطة)، دون مأوى معروف، سيضعف موقفه كثيرا، ويجعله عرضة للشبهات والسقوط، ولن يكون من المنطقي أن يحتل منزلا مثلا ؛ لأنه لا يستطيع تحديد الفرصة القادمة، التي يمكنه فيها الظفر بالأمير زاهر).. إذن فأفضل ما يفعله هو أن يغادر المدينة مؤقتا، ويختفي وسط الغابات والتلال المحيطة بها، حتى تهدأ الأمور قليلا، ونتصور نحن أنه رحل، فيعود ليباغتنا باغتيال الأمير.

ارتسمت على شفتي الشيخ ابتسامة هادئة، وهو يقول:

- أحسنت يا ولدي.. أحسنت..

نقل الأمير بصره بينهما لحظة، قبل أن يقول في حزم:

- فليكن.. سأصدر أوامري بإيقاف كل من يحاول مغادرة (غرناطة)، وتفتيشه جيدا..

قال (فارس) في اهتمام:

- ولكننا مازلنا نجهل هيئته الحقيقية..

سأله الأمير في دهشة:

- لم تبارزه فوق الأسطح؟

أومأ (فارس) برأسه إيجابا، وهو يقول:

- هذا صحيح، ولكنه كان ملثما كالمعتاد.

قال الأمير في قلق:

- كيف يمكننا حل هذه المشكلة إذن؟.. لن يمكننا منعه من الخروج، ما دمنا نجهل هيئته

أشار الشيخ بسباته، وهو يقول في هدوء:

- أغلق كل مخارج المدينة، فيما عدا واحدا، وليقف (فارس) هناك، لمراقبة كل من يحاول الخروج.

سأله الأمير في حيرة:

- وفيم يفيد هذا؟!.. (فارس) لم ير وجهه قط.

أومأ الشيخ برأسه، قائلا:

- ولكنه يعرف هيئته.

صمت الأمير لحظة، قبل أن يقول

- وهل يكفي هذا؟

قال (فارس):

- من يدري يا مولاي؟!.. ربما كانت هناك وسيلة لتعرفه.. دعنا ننفذ خطة الشيخ، وليكن ما يكون.

قال الأمير في حزم:

- فليكن.. سننفذ خطة الوزير.

شعر (فارس) بالارتياح، عندما صدرت أوامر الأمير، وامتلأ ذهنه بصورة واحدة، وجد فيها حل الأزمة كلها..

صورة (فهد)!

توقف (بابلو) على صهوة جواده، على مسافة مائة متر من المخرج الوحيد للمدينة، يراقب ما يحدث في اهتمام..

كان من الواضح أنهم يبحثون عنه، وسط المغادرين للمدينة، في نهاية نهار الجمعة، الذي تزدحم فيه الأسواق، وتتزايد أعداد الغرباء، على نحو يفوق مثيله، في أيام الأسبوع الأخرى.

وكان واثقا من أن أحدهم لا يعرف وجهه الحقيقي..

حتى (فارس)، الذي وقف بينهم، يراقب الخارجين في اهتمام شديد..

كل ما يمكنهم تعرفه هو هيئته العامة، وثيابه، وجواده.. ولقد تخلص من كل هذا.. ولم يكن الأمر عسيرا لقد انقض على شخص ما، وخنقه بلا رحمة، ثم استولى على ثيابه وجواده...

ومن حسن حظه أن ذلك الشخص كان أكثر منه بدانة..

لقد أحاط جسده بقطع من ثيابه، قبل أن يرتدي ثياب ذلك الرجل، فبدا بالفعل أكثر بدانية، وتغيرت هيئته العامة تماما، مع ثيابه، وجواده.

ولعل أكثر ما ضايقه هو التخلي عن جواده.. ولكنه إجراء مؤقت فحسب، فما إن يصبح خارج

المدينة، ويهبط الليل، حتى يطلق صفيره الخاص، فيلحق به جواده، ويختفيان معا في الدغل القريب، حتى تحين فرصة العودة، واستكمال المهمة..

ولكنه أكثر حذرا من أن يخرج منفردا.. إنه ينتظر لحظة خروج عدد من التجار أو الفرسان،

لينضم إليهم، ويخرج وسطهم، دون أن يثير أدنى شبهة.

ومن بعيد، لاح له ما ينتظره.. عدد من التجار، يتناقشون فيما بينهم، وهم يتجهون إلى المخرج..

وبسرعة، اتجه (بابلو) بجواده نحوهم واختلط بهم..

وفي ثقة وهدوء، اتجه معهم إلى المخرج، وهو يسأل أحدهم:

- لماذا كل إجراءات الأمن هذه؟

هز التاجر كتفيه، قائلا:

- ألم تسمع بأمر محاولة اغتيال الأمير (زاهر)، في أثناء أداء صلاة الجمعة؟!

رفع (بابلو) حاجبيه في دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- آه.. هذا هو السبب إذن.

وراح يتبادل الحديث مع التاجر، على نحو جعلهما أشبه بصديقين قادمين، وهما يعبران المخرج، و..

وفجأة، انطلقت صرخة تهتف:

- ها هو ذا؟

استدار (بابلو) في سرعة إلى مصدر الصوت، وانعقد حاجباه في شدة، وهو يتطلع إلى جوادين

يقتربان من المكان بسرعة كبيرة.

وعلى متن أحدهما، كان يجلس (فهد)، بجسده الأسود القوي، وعضلاته البارزة الواضحة، في حين استقر على صهوة الجواد الثاني رجل آخر، يعرفه (بابلو) جيدا..

الحارس الخاص للشيخ (حسام بن على)..

الرجل الوحيد، الذي رآه في وضوح، ويمكنه تعرفه في ثقة، وبقي على قيد الحياة..

وكان الحارس هو صاحب الهتاف، وهو يشير إلى (بابلو)، مستطردا في انفعال:

- لقد أبدل هيئته، ولكنني لن أخطئ تعرفه قط.. لقد انحفرت ملامحه في ذهني، ولن يمحوها الزمن قط.

وفي سرعة وحزم، لكز (بابلو) جواده، واندفع به وسط الجميع، واستل سيفه في قوة، ليهوى به على كل من يقف أمامه، وهو يصرخ:

- ابتعدوا أيها العرب.. ابتعدوا.

كان أمره قد انكشف، وهو يعبر المخرج بالفعل، مما ساعده على تجاوزه بسرعة، والانطلاق بأقصى سرعته مبتعدا..

وجذب (فهد) عنان جواده ليطارده، إلا أن (فارس) وثب على صهوة جواده، هاتفا:

- اتركه يا (فهد).. إنه لي.

وانطلق بأقصى سرعته خلف (بابلو) وللمرة الثانية، شعر القشتالي بالحنق ؛ لأنه اضطر الاستبدال جواده، فلم يكن الجواد الذي يمتطيه بنصف كفاءة جواده..

ولهذا لحق به (فارس) في سرعة..

وبكل قوته، لوح (بابلو) بسيفه في وجه (فارس)، هاتفا:

- إياك أن تقترب أيها العربي، وإلا..

استل (فارس) سيفه بدوره، وراحا يتبارزان على صهوة جواديهما، وهما ينطلقان جنبا إلى جنب، و (فارس) يهتف:

- لن تربح هذه المرة أيها القشتالي.. لن تربح بإذن الله.

شعر (بابلو) أن (فارس) على حق هذه المرة، وهو يقاتل بكل القوة والعنف والبسالة، على متن جواد قوى مدرب، يفوق جواده عشرات المرات، فاختلس نظرة سريعة إلى معرفة (رفيق)، التي يتشبث بها (فارس)، وهو يضرب بسيفه في مهارة، واستقبل سيف (فارس) على سيفه، هاتفا:

- هل تراهن أيها العربي؟

ثم تراجع بسيفه بغتة، وأماله في سرعة، وهوى به على تلك القبضة من معرفة (رفيق) التي يمسك بها (فارس)..

وجاءت ضربته في موضعها تماما..

لقد اجتزت ذلك الجزء من معرفة (رفيق)، فاختلّ توازن (فارس) بغتة، مع ضحكة (بابلو) الساخرة، وهو يهتف:

- وداعا أيها العربي.. لقد خسرت معركتك الأخيرة معى.

كان من الطبيعي أن يفقد (فارس) توازنه، بعد هذا الاختلال المباغت فيه، إلا أن رد فعله جاء مدهشًا بحق..

لقد قبض على بطن (رفيق) بفخذيه، ودفع جسده إلى الأمام، و (بابلو) يتجاوزه بخطوات قليلة، و...

وهوى بسيفه على رباط سرج جواد (بابلو)..

وانقطع الرباط بغتة، ففقد القشتالي توازنه، وسقط عن صهوة جواده، وهو يهتف:

- اللعنة!.. لقد فعلها..

سقط أرضا في عنف، وتناثرت جعبة الأسهم في مساحة واسعة، ولكنه قفز واقفا على قدميه في سرعة، وهو يشهر سيفه، هاتفا:

- لم تنته المعركة بعد أيها العربي.

قفز (فارس) عن صهوة جواده، وهو يقول:

- صدقت أيها القشتالي.. المعركة بدأت..

ووسط تلال (غرناطة) الغناء، تقارع السيفان..

وكانت أقوى مبارزة شهدتها التلال الخضراء..

اثنان من أقوى فرسان العصر، يلتقى سيفاهما في قوة وعنف..

ومرة أخرى، أدرك (بابلو) أن خصمه لا يستهان به..

واتخذ قراره بأن القوة وحدها لن تحسم القتال..

ومن منطلق قراره هذا، هتف:

- أراهن على أن (مهاب) لقنك الكثير من مبادئه السخيفة أيها العربي.

هتف به (فارس)، وهو يضرب في قوة:

- هذا صحيح أيها القشتالي.. (مهاب) لقنني كل مبادئه، وأنا أشعر بالفخر لهذا.

أطلق (بابلو) ضحكة عالية ساخرة، وهو يقفز إلى الخلف، قائلا:

- الفخر؟!.. لن يفيدك الفخر كثيرا في الجحيم يا هذا.. كل ما ستفعله بك مبادئ (مهاب)، هو أن ..

بتر عبارته بغتة، واحتقن وجهه في شدة، ومال نصل سيفه، وهو يقول في ألم واضح شديد

- اللعنة!.. تلك الأزمة الـ...

وسقط على ركبتيه، وهو يسعل في شدة، فانعقد حاجبا (فارس)، واقترب منه في حذر، قائلا:

- ماذا أصابك؟!

سعل (بابلو) مرة أخرى، وهو يقول:

- صدري.. أشعر بآلام عنيفة.. اللعنة!.. إنني ..

مال (فارس) نحوه، و...

وفجأة، استعاد (بابلو) نشاطه دفعة واحدة، وانطلق سيفه يضرب سيف (فارس) في قوة، ثم انقض على صدره، وهو يطلق ضحكته الساخرة، هاتفا:

- خسرت أيها العربي.

طار السيف من يد (فارس)، وتراجع في حركة حادة، ليتفادى نصل سيف (بابلو)، فسقط على ظهره أرضا، في حين وثب القشتالى واقفا على قدميه، وانقض عليه في عنف، صارخا في سخرية:

- انحسم الأمر أيها العربي، وفاز (بابلو دي لوركا) كالمعتاد..

كان سيفه ينقض على صدر (فارس) مباشرة، عندما التقطت يد هذا الأخير أحد الأسهم، التي تناثرت من جعبة (بابلو)، فقبض على رأسه في سرعة، ثم ألقاه بكل قوته نحو غريمه..

ودار السهم حول نفسه بسرعة مدهشة، قبل أن ينغرس رأسه في صدر (بابلو)..

وفي موضع القلب تماما..

وشهق القشتالي، واتسعت عيناه في ألم وذهول، وسقط سيفه من يده، وهو يحدق في وجه (فارس)، الذي نهض في بطء، قائلا:

- الآن فقط انتهت المعركة أيها القشتالي.

ارتجفت شفتا (بابلو)، وانفرجتا لحظة، وجسده كله يترنح، ثم لم تلبث الدماء أن تدفقت من بينهما، قبل أن يهوى جثة هامدة، ويرتطم وجهه بالأرض..

أرض (غرناطة)...

ولم ينبس (فارس) ببنت شفة..

لقد وقف صامتا، ساكنا، يتطلع إلى جثة (بابلو)، التي أصبحت رمزا لفشل آخر للقشتاليين، في احتلال آخر ما تبقى للعرب في (الأندلس)، وخيل إليه أن الرؤية من حوله تتسع وتتسع، لتشمل المشهد كله بأشجاره وتلاله، وتلك المدينة في نهايته، التي صارت رمزا للصمود في ذلك العصر..

- (غرناطة)..

حيث تحطم الغرور القشتالي برأس معدني صغير..

رأس السهم..

(تمت بحمد الله)

ما سر تلك المهمة، التي أسندها الملك (فرناندو) لحارسه الخاص (بابلو دي لوركا)؟؟

وكيف نجح الفارس القشتالي في مهمته، حتى كاد يظفر بأحد أمراء (غرناطة) في أرضه؟

وترى هل ينجح (فارس) في التصدي للقشتالى، أم يخسر عملية رأس السهم؟؟

اقرأ التفاصيل المثيرة، وعش عبق التاريخ مع (فارس الأندلس)...

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــاة

الفهرس:

1- اغتيـــــــال..

2- الفارس..

3- ثمن الدم..
4-الطعنة..
5- الماضي والحاضر..
6- العنـــــــاد..
7- رأس السهم..

الملاحظات

[←1]

(*) ابن آوى: حيوان ثديي ليلى، من جنس (كانس)، يتبع فصيلة الكلبيات، ويشبه الذئب، ولكنه أصغر منه حجما، يتغذى بالجيف والنبات والحيوان، ويستوطن جنوب شرق (أوروبا)، و (آسيا)، و (إفريقيا)، والنوع الأخير هو الموجود في (مصر)، والذي يعرف خطأ بالذئب.

[←2]

(*) عرف هذا الأسلوب فيما بعد، من خلال أجهزة المخابرات الدولية.

[←3]

(*) في ذلك العصر، كانوا يصبون الشمع السائل على الأقمشة، لجعلها مقاومة للمياه (ووتر بروف)، ولقد شاع هذا الأسلوب في المناطق الساحلية، في صناعة أشرعة المراكب.